

طبيب وخمس نساء  
أحمد الملا



# طبيب وخمس نساء

مبنية على أحداث حقيقية

أحمد الملا

## دار الفراعنة للنشر والتوزيع

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني محفوظ للناشر

اسم العمل : طبيب وخمس نساء

اسم الكاتب: أحمد الملا

نوع العمل: رواية

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٢٧١٢١

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٦٦٨-١٤-٠

تصميم الغلاف : م. أسماء رمضان

التدقيق اللغوي : د/ عبد الرحمن حجازي

الناشر : دار الفراعنة للنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة : إكرام عيد

المدير التنفيذي : عزة ابراهيم

المدير العام : مصطفى فاروق

تليفون : ٠١٠٠٦١٤١٦٤٥



دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة

## إهداء

إلى أمي الأستاذة نعيمة إمبر - أستاذة اللغة العربية -

معلمتي الأولى التي أخذت منها حب اللغة العربية والقراءة والإطلاع .

إلى أبي الأستاذ محمد الما - أستاذ الخط العربي -

الذي روى عطشنا للقراءة بكل أوان المعرفة بدءاً من ميكي وماجد

ومدونا بروايات الجيب وحتى أمهات الكتب .

إلى إخوتي محمود وهشام ونسمة الملا ،

أول من آمنوا بي وأهم جمهور لدي .

إلى زوجتي رانيا عبد الحميد وبناتنا مريم وجنى ،

مشروع الوعيد في هه الدنيا .

إلى رقيم ، و زملاء رقيم ،

عالمي الذي إليه أنتمي .

إهداء

إلى كل امرأة عربية

من المحيط إلى الخليج

إلى أبطال هذه الرواية الحقيقية

إلى بسمة

صاحبة هذا العمل

## المحتوى :

- مقدمة
- البداية
- أول يوم في عملي الجديد
- أنا والملفات
- اللقاء المرتقب
- يوم الفضفضة
- ليمون بالنعناع
- ليلي وشيرين
- أمن دولة
- زواج عرفي
- الحادثة
- تجارة أعضاء
- اختفاء
- نهاية وبداية

## مقدمة

أنا بسمة ... فتاة مصرية عادية جداً ... متوسطة الطول جميلة الملامح كما يقولون ... من مواليد محافظة القاهرة سنة ١٩٨٤ ... ولدت وترعرت في حي دار السلام بقلب محافظة القاهرة ... من أسرة متوسطة على قدر من العلم والتدين ميسورة الحال ... حصلت على ليسانس الآداب في علم النفس من جامعة عين شمس عام ٢٠٠٥ بتقدير عام جيد جداً مع مرتبة الشرف ... وخلال الأعوام الأخيرة من وقت التخرج وحتى يومنا هذا التحقت بالعمل في أكثر من مكان ... ولحبي الشديد لعلم النفس قررت أن أخوض تجربة الدراسات العليا وحصلت بالفعل على شهادة الماجستير في الصحة النفسية إلى جانب عملي كأخصائية نفسية في عدد من العيادات والمدارس الخاصة ... مررت بالعديد من التجارب بحكم عملي ... وعاشت الكثير من المشاكل والصراعات ... فكرت منذ فترة في كتابة مذكراتي أو أن أخلص هذه التجارب في عدد من المذكرات ، إلا أنني كنت أتردد كل مرة لأكثر من سبب أولها أنني لا أجيد الكتابة و سرد الأحداث ، بالإضافة إلى أنني أو من تماماً بحق المريض - خاصة النفسي - في الاحتفاظ بأسراره وخصوصياته ، إلا أن أحد معارفي المقربين والذي يعمل في مجال الصحافة أقنعني بأهمية التدوين ونشر مثل تلك التجارب التي قد تكون يوماً ما - على الرغم من بساطتها - مرجعاً للطلاب والباحثين ومن على شاكلتهم، أكثر من كونها مادة للقراءة الحرة والتسلية ، وبعد عدة محاولات قررت أن أبدأ تسجيل إحدى أهم تجارب حياتي الشخصية والعملية والتي كان لها بالغ الأثر في تحويل مجرى حياتي بشكل كامل فيما بعد .

بالطبع لم أكتب حرفاً قبل اسئذان الأبطال الحقيقيين للقصة وتغيير أسمائهم  
وبعض تفاصيل حياتهم بما لا يتعارض مع التجربة التي خضناها سوياً ، وهنا  
وجب علي أن أتوجه إليهم جميعاً بالشكر على موافقتهم وتفهمهم للأمر ،  
وأشكرهم أكثر على أنني قد أصبحت جزءاً هاماً في حياتهم كما أصبحوا هم  
بالنسبة لي.

بِسْمَةِ أَحْمَد

الإسكندرية ٢٠١٧

الخميس ٢٥ فبراير ٢٠١٠ الساعة ٨ صباحاً

## البداية

أحب الشتاء مثل الملايين من بني البشر الذين يدعون حب الشتاء ولياليه المطيرة المصحوبة بأغاني فيروز و رائحة القهوة "المحوجة" التي تحتفظ أمي بخلطتها السرية التي ورثتها عن جدتي - رحمها الله - ولكن دعني أحطم لك تلك الصورة الوردية للشتاء بقليل من التفاصيل اليومية التي نعيشها هنا في قلب القاهرة ، فربع ساعة متواصلة من الأمطار كفيلة بأن تقلب حياتك رأساً على عقب ، شلل تام في كافة الطرق الرئيسية والشوارع الجانبية ، تعطل شبه دائم لوسائل المواصلات الحيوية وأهمها مترو الأنفاق صديق الدراسة والعمل للملايين من القاهريين ، حتى التمشية الرومانسية تحت المطر كما تصورها كلاسيكيات السينما العالمية تحتاج إلى مجهود ذهني وبدني يفوق أكثر لاعبي السيرك براعة حتى تستطيع عبور الشارع بسلام متفادياً السيارات والتكاتك وبرك المياه والوحل ... و ها أنا ذا أبدأ رحلتي اليومية إلى مدرسة الغد الخاصة - حيث أعمل كإخصائية نفسية - باحثة عن أي وسيلة مواصلات تنتشلني من هذه المستنقعات وتأخذني إلى مقر عملي .

على مضض أوقف السائق العشريني سيارته الميكروباص كي ينزل أحد الركاب لأجد الفرصة سانحة كي أصعد إلى السيارة ، وكنظرة أمي حينما تنتهي من مسح وتنظيف البيت ويدخل أحدنا بحذاءه المشبع بالوحل استقبلني السائق بنظرة مماثلة وكأنني أنا الوحيدة التي دنست سيارته الطاهرة بحذائي



الآثم ، جلست في المكان الشاغر وأخرجت ورقة من فئة العشرين جنيهاً  
وأرسلتها إلى السائق .

- واحد من العشرين يا أسطى لو سمحت
- اصطبحننا واصطبح الملك لله ، هي كلها عشرينات النهاردة ولا إيه ؟
- نعم ؟
- معلش يا بنتي أصله مش معاه فكة وكذا حد إداله عشرينات "قالتها  
السيدة التي تجلس بجواري"
- خلاص يا أسطى هات العشرين وهبعنك جنيه
- ما كان م الأول "قالها احد الركاب المتطوعين في هذا النقاش  
المجتمعي الجميل"

بخبرتي في ركوب المواصلات أتجنب فتح أو المشاركة في أي نقاش أو  
جدال مع هذا أو تلك مهما كانت المكاسب المتوقعة خاصة في فترة الصباح و  
أركز فقط على وجهتي

- اتفضل يا أسطى جنيه أهو ونزلني مجمع المدارس لو سمحت
- ماشي يا أبله

لم يقل لي "أبله" لعلمه المسبق أنني أعمل في مدرسة خاصة ، ولكن هذا  
المصطلح "أبله" يتعامل به السائقون وغيرهم مع فئة الإناث في المرحلة  
العمرية من ١٨ إلى ٣٥ قبل انتقالهم إلى مرحلة "المدام" و "الحاجة" فيما  
بعد ، عند محطة مجمع المدارس وقفت السيارة لأنزل منها وأسير ما يقرب

من ٣٠٠ خطوة حتى أصل إلى المدرسة ، وعلى باب المدرسة استقبلني "عم  
عبد الله" بابتسامته العريضة المعتادة

- حمدالله ع السلامة يا ميس بسمة ، والله أنا قلت إنتي مش جاية النهاردة  
في الجوده

- صباح الفل يا عم عبد الله ، على إيه يعني دول شوية مطر ، ده إحنا  
جامدين قوي

- ربنا يسترها معاكي يا بنتي ، خشي بسرعة عشان تلحقي الدفتر بتاعك

لم أستطع منع ضحكتي عندما قالها ، فمن كثرة تأخري شبه اليومي أصبح من  
المعروف أن هناك دفتر للحضور والانصراف ، و دفتر التأخيرات الذي  
أطلقوا عليه "دفتر بسمة" ، دخلت و قمت بالتوقيع و توزيع السلامة  
والابتسامات و القبلات كالمعتاد ، وفي مكتب التربية الاجتماعية كانت  
"هنا" الأخصائية الاجتماعية تمارس مهمتها الجليلة في إسداء النصائح  
الزوجية والمطبخية والحياتية للزميلات أثناء تناول الإفطار و شرب  
النسكافيه ، حيث كانت تجلس معها هذه المرة زميلتنا "سارة" مدرسة العلوم ،  
وبعد السلامة وضعت حقيبتني على المكتب وقمت بتشغيل الكمبيوتر الخاص  
بي واعتدلت في جلستي مخاطبة "سارة" : يا بنتي سيبك من هنا دي والله  
هتوديكي في داهية و هتدخلي الموسوعة وتبقي من ضحاياها .

- سارة : ضحاياها ؟ موسوعة ؟ إيه الحكاية يا ميس هنا ؟

- هنا : سيبك من الهيلة دي مش عارفة مصلحتها ، اللي قدها عيالها في  
المدرسة دلوقتي

- بسمة : آه آه وغسيلهم ع الحبل وطبيخهم ع النار ، بدأنا الإسطوانة بتاعت كل يوم
- هناء : الحق عليا إني عاوزة مصلحتك ، خليك إنتي كدة مضيعة شبابك وصحتك على الشغل والدكتوراة لما نشوف آخرتها
- سارة : ملكيش دعوة يا ميس هناء كل واحد دماغه مريحاه
- بسمة : الله ينور عليييييييكي ، ولما هو كل واحد دماغه مريحاه لزمته إيه حقنة الصبح و الودودة في الفاضي والمليان ؟
- هناء : أنا ؟؟؟ يا بنتي إحنا ملناش إلا بعضينا فيها إيه لما نشور بعض وناخذ رأي بعض و ...
- بسمة : ونهري مع بعض ، ونخرب على بعض
- سارة : إيه يا ماما انتي رحتي فين ؟ كل ده عشان جاية أسألها الكوارع بتتعمل إزاي ؟
- بسمة : كوارع آه ... ماهي كل بلاوي الدنيا بتبتدي بالكوارع
- هناء "ضاحكة" : الله يجازي شيطانك ... إنتي بالذات والنبي مانا قايلالك على حاجة حتى لو هتموتي قدامي كدة
- بسمة : يا ستي متشكرين خليهالك ، والبركة في زباينك ، منورة المحل والله يا ميس سارة ، هو النهاردة معندناش حصص ولا إيه ؟
- سارة : عندنا ياختي ، مش زيك قاعدة طول النهار بتلعب في ظوافرك وتلعب على الكمبيوتر
- بسمة : صباحو قر يا ستي

وهنا دخلت إحدى طالبات المدرسة ممسكة بالدفتر الذي يبغضه الجميع  
والمعروف باسم "دفتر الاحتياطي"

- الطالبة : اتفضلي امضي يا ميس بسمة
- بسمة : بركاتك يا ميس سارة ، تعالي يا حبيبتي وريني جايبالي إيه ...  
نعم ؟؟؟ حصتين احتياطي ؟؟؟ بقي أنا عشان مرضيتش أزعل ميس  
أمينة الأسبوع اللي فات عشان مدياني حصة تقوم تكافئني النهاردة  
بحصتين ؟ والله ما أنا ساكتة لها المرة دي
- أخرجت الهاتف المحمول بعصبية من الحقيبة ، وقمت بالاتصال بميس أمينة  
:

- آلو ... ميس أمينة ... عليكم السلام ... هو إحنا مش اتفقنا يا ميس أمينة  
إن الأخصائيين النفسيين مش مدرسين ومش بياخدوا حصص احتياطي  
؟ .... أوكي ماشي أنا فاهمة إنه الجو وحش وفيه زميلات كثير غايبين  
النهاردة بس ده ذنبي إني أنا جيت في الجو ده ؟ ... مش سامعة  
حضرتك ... هو حضرتك إجازة كمان ؟ .... لا ألف سلامة عليكى ...  
حاضر يا ميس أمينة ... حاضر ... لا متشغليش بالك ... لما ترجعي  
بقي نبقى نتكلم ... حاضر ... مع السلامة ... عليكم السلام ورحمة الله  
وبركاته

- هناء : حنفي ... هتنزل المرة دي
- بسمة : يا ست إنتي متستفزيش أنا مش طايقة نفسي
- سارة : إنتي حد كلمك ... ما تروحي تتشطري عليهم

- بسمه : كله منك روعي يا شيخة الله يـ .....

قاطعنا صوت هاتفي المحمول

- هناء "ضاحكة" تلاقىها ميس أمينة هتديكي حصتين كمان

- بسمه : صبرني يا رب ... لا ده رقم غريب ... عاوز إيه ده كمان على

الصبح كدة ؟

بعصبية شديدة فتحت المحمول وقلت :

- ألو سلامو عليكو ... دكتورة بسمه ؟ "في هذه اللحظة اختفت عصبيتي

تماماً لكوني أحب مناداتي باسم دكتورة بسمه" ... آه أنا مين حضرتك

؟ ... دكتور عاصم مين ؟ أنا معرفش حد بالاسم ده ..... "وفجأة

تذكرته" .... آآآآآآه آه دكتور عاصم أيوه تمام ... "تحولت لهجتي ١٨٠

درجة" ... النهاردة ؟ ... آه مناسب طبعاً ... تمام يا فندم ... آه طبعاً

فاكرة المكان ... لا أنا في الشغل دلوقتي ... بالليل ؟ أوك حاضر ... في

المعاد هتلاقيني عند حضرتك بإذن الله ... لا يا فندم أنا اللي متشكرة

جداً ... مع السلامة

إنه الدكتور عاصم ... عاصم النجار ... واحد من أشهر الأطباء النفسيين في

القاهرة ومصر كلها ... كان قد أعلن عن حاجته لوظيفة مساعد في عيادته

ال نفسية وذهبت و قدمت أوراقي و قابلته ... كان ذلك منذ أسابيع لدرجة أنني

توقعت أن أحداً غيري قد فاز بالوظيفة ... لم ألتفت لمهمات هناء وسارة إلا

عندما رفعت هناء صوتها كي تنتشلي من تفكيري

- سبحان مغير الأحوال ... دكتور عاصم ... وبالليل ... وإحنا أكياس  
جوافة قاعدين جنبك
- بسمة "وقد اختلطت في صوتي مشاعر الفرحة مع الخجل " : يا  
مجنونة
- سارة : مجنونة أه ... وإيه كمان ؟
- هناء : أقسم بالله أنا من زمان بقول البت دي مقرطسانة كلنا ومقضيهاها
- بسمة : بس بس حيلك حيلك إنتي وهي ... ده شغل والله شغل
- هناء : شغل إيه يا أم شغل اللي مع حد مش عارف اسمه ورايحة له  
بالليل ... يا ما شاء الله يا ما شاء الله ... الشرف ... الشرف يا ولاد  
الكلب "وضحكنا كلنا عند هذه الجملة"
- بسمة : خلاص ياعم سعيد صالح ... هحكياك والله ... أنا من ساعة ما  
سبت عيادة دكتور إلهام وأنا بدور على عيادة أشتغل فيها بعد الظهر ...  
منها تساعدني في مصاريف الدكتوراة ومنها أكثر خبرة في مجال  
شغلي و دراستي اللي بحبهم ... دكتور عاصم ده حد مشهور جداً  
وعيادته جنبنا هنا في المعادي ... كان طالب حد يشتغل معاه مساعد  
وأنا رحتمت قدمت وعمل لي انترفيو ... وشكلي قبلت في الشغلانة ...  
والله لو مشوار النهاردة ده عدى على خير لأحلي لكم بكمم وأعزمكم  
عزومة محصلتش
- سارة : أه عارفاها أنا الدخلة دي وبترسى على بيتزا في الآخر
- بسمة : لا عيب عليك
- هناء : بيتزا ؟ والله ما تعدي إلا بمحشي وبط

- بسمه : والله ما هكسرلك كلمة ، بس ادعيلي بس  
وكانت تلك المكالمه هي بداية رحلتي مع الدكتور عاصم

الخميس ٢٥ فبراير ٢٠١٠ الساعة ٦ مساءً

أول يوم في عملي الجديد

.....

"المعادي لمن يسكنون في المعادي" ... هذه الجملة من إحدى المسلمات التي تربينا عليها منذ الصغر ... فبالرغم من أنني ولدت وترعرت على بعد كيلومترات قليلة من المعادي إلا أنها ظلت حتى فترة قريبة جداً تشكل بالنسبة لي متاهة عظيمة ... فمنطقة المعادي القديمة عبارة عن إشارة مرور وكشك ورد على صينية دائرية تتفرع منها الشوارع الجانبية ... هذا النموذج الثلاثي المكرر كثيراً في المعادي يجعلك تمضي الدقائق والساعات تدور حول نفسك بين متشابهات حتى ينفذك أحد السكان الأصليين لكوكب المعادي ... لحسن حظي كانت عيادة الدكتور عاصم النجار ذات شهرة مميزة ... وتقع في إحدى العمارات في منتصف المسافة ما بين كورنيش النيل ومحطة مترو المعادي ... وها أنا أعبّر الشارع باتجاه العمارة قبل الموعد المحدد بخمس دقائق بالضبط ... ألقيت السلام على حارس العمارة الذي قام - كمثلته من الرجال - بأخذ صورة ثلاثية الأبعاد من أول كعب حذائي و حتى آخر دبوس في الطرحة السماوية التي تستر رأسي ... عجباً لهذا الصنف من الذكور الذي لا يفرق في نظراته الخادشة بين محتشمة و غير محتشمة ... دخلت المصعد وصعدت إلى الدور الرابع ... وجدت باب العيادة الفخم مفتوحاً ... وكعادة هذه الأماكن لا تكون مكتظة بالناس لأن الطبيب النفسي لا يتعامل مع حالات



كثيرة في يوم واحد ... دخلت المكان وجدته مريباً ... الإضاءة خافتة نوعاً ما ... الهدوء يسود المكان ... لحظات وتكتشف مزيجاً من صوت مقطوعة موسيقية كلاسيكية تنبعث من المكان مع صوت إذاعة القرآن الكريم الذي يأتي من أحد الأماكن داخل هذه الشقة الغربية ... لوهلة فكرت في الانصراف أو العودة في وقت مبكر في يوم آخر ... أخذني من وساوسي صوت هادئ بنبرة صعيدية واضحة : أي خدمة يا بنتي ؟

- حضرتك أنا كان عندي معاد مع الدكتور عاصم الساعة ستة
- يبقى إنتي الدكتورة بسمة ... صح كدة ؟
- تمام يا فندم
- أهلاً بيكي يا دكتورة ... الدكتور قاعد ومنتظر ك ... اتفضلي استريحي هبلغه و أرجعلك

شئ غريب في صوت هذا الرجل - السبعيني ذو الملامح الهادئة الطيبة - جعلني أشعر بالارتياح وأترجع عن فكرة الانصراف ، ماهي إلا ثوان معدودة حتى عاد إلى مبتسماً

- اتفضلي يا بنتي المرة دي في المكتب بقى مش غرفة الاجتماعات زي المرة اللي فاتت اللي أنا مكنتش موجود يومها
- آه فعلاً أنا برضه مش فاكدة إنني شفت حضرتك ، متشكرة جداً يا عم

...

- سليمان ... اسمي سليمان
- متشكرة يا عم سليمان

فتح لي الباب ، ودخل ورائي لأجد نفسي أمام لوحة جمالية من زمن الباشوات والنبلاء ... الأثاث الكلاسيكي بالغ الفخامة ... الديكورات التي تناسب هذا الجو بدءاً من المدفأة والنجف والأباجورات واللوحات المعلقة التي تتنافس فيها زخارف الخط العربي مع المناظر الطبيعية الجميلة ... المكتب في حد ذاته كأنه عمل فني منحوت ... ويتوسط كل ذلك الدكتور عاصم ... رجل طويل القامة ذو جسم رياضي ممشوق يجلس على كرسي المكتب وخلفه حائط يعج بشهادات التقدير العلمية والأدبية بل والرياضية أيضاً ... أبيض البشرة ... شعره ناعم خليط بين البني والفضي والأبيض بحكم سنه الذي يقترب من الخمسين ... برنس من الزمن الجميل ... كوكتيل من أفلام الأبيض وأسود بطولة رشدي أباطة وعمر الشريف وأحمد مظهر... زادته لحيته الخفيفة المرسومة بعناية ونظارته الطبية الأنيقة جمالاً على جمال ... حينما دخلت قام بمنتهى الشياكة واقفاً دون أن يمد يده بادناً بالتحية :

- أهلاً بيكي يا دكتور ... يا ترى المواعيد المظبوطة دي على طول ولا بس عشان أول يوم وكدة ؟

كنت لازلت في مرحلة الانبهار التي لاحظها الدكتور عاصم وأراد بكلماته أن يلفظ الأجواء كي نتجاوز مرحلة الرسميات ... مددت يدي إليه لأسلم عليه : أهلاً بحضرتك يا دكتور ... والله البركة فيكم بقى أنا جاية أتعالج من الموضوع ده

- سليمان : دي جاية تتعالج يا دكتور مش تشتغل ... قلتك ١٠٠ مرة أنا اللي اختارك المساعد بتاعك إنت مسمعتش الكلام

- عاصم "مازحاً" : معلىش ياعم سليمان بقى على قد فلوسنا
- أحسست ببعض الحرج فبادر عم سليمان : دي باين عليها بتصدق
- عاصم : إحنا بنهزر يا دكتور ... ده هزار عواجز بكرة تتعودي عليه  
... عم سليمان ده اللي مربيني وقعد في المكان ده أكثر مني ... من أيام  
ما كانت دي أكبر عيادة باطنة في المعادي في حياة والدي الدكتور عبد  
الحميد النجار
- سليمان "بتنهيدة عميقة" : الله يرحم الغالي ويرحم موتانا أجمعين
- عاصم : وعلى فكرة ... أنا مش بسلم على ستات بالإيد
- بسمة : لا عادي يا دكتور ... وعلى فكرة كمان أنا مش ستات
- سليمان : إيه؟؟؟
- بسمة : أقصد إني آنسة ياعم سليمان ... معلىش معلىش ده هزار بنات  
بكرة تتعود عليه
- عاصم "ضاحكاً" : لا كدة تمام قوي واضح إن الدكتورة بسمة معانا ع  
الخط يا راجل يا طيب
- سليمان : أنا قلت في سري دي مش ستات ؟ نهار أزرق القيامة هتقوم  
.... جت سليمة الحمد لله .... تشربي إيه يا بنتي
- عاصم : اعمل لنا بقى اتنين سحلب سخنين كدة من إيدك الحلوة وأنا  
هدردش شوية مع الدكتورة بسمة
- سليمان : طب ما أدردش معاكم شوية ... ولا أنا مش قد المقام بقى  
اكني صعيدي و دقة قديمة ...
- بسمة : أجدع ناس يا عم سليمان

- عاصم : عم سليمان ... إحنا هندردش في الشغل ... الشغل ياعم سليمان  
- سليمان : شغل شغل ... ألا عمري ماشفتك لابس البالطو ولا ماسك  
سماعة زي أبوك الدكتور عبد الحميد الله يرحمه ... ده طب آخر زمن  
والله

- بسمه : بالطو وسماعة ؟

- عاصم : أهو كل يوم من ده ... "وأشار بيده" ... اتفضلي استريحي ...  
البيت بيتك

- بسمه : ميرسي يا دكتور

- عاصم : بصي بقى يا ستي ... أنا ذاكرت الملف بتاعك كويس ...  
وعارف إنك شاطرة ومجتهدة وليكي خبرة سابقة في شغلنا وحاجات  
تانية كثيرة ... وبصراحة عجبنتي قصة إنه ليكي اهتمامات تانية غير  
الدراسة والشغل ... زي الرياضة والمزيكا

- شكراً يا دكتور دي شهادة أعتز بيها

- لكن برضه كل ده مكانش السبب في اختياري ليكي من بين ١٨ واحد  
اتقدموا للوظيفة دي

- أمال إيه يا ترى ؟

- فاكرة السؤال اللي سألتهولك في الانترفيو ؟

- و دي حاجة تنتسي يا دكتور ؟ ... هو سؤال واحد ولما جاوبت عليه  
قلتلي خلاص شكراً وهنبقى نتصل بيكي ... على طول فهمت إنني  
لبخت في الكلام وإني خارج حساباتك

- أهي إجابتك دي هي السبب في إنك هتشتغلي هنا

- معقولة ؟
- طبعاً
- كل واحد كان بيدخل هنا كنت بسأله نفس السؤال ... لو قتلتك إن الإحصائيات الرسمية في مصر بتقول إن ١% من سكان مصر بيترددوا على العيادات النفسية ممكن تفسر ده بايه ؟ ... فيه اللي قال إن ده مؤشر على إن الصحة النفسية في مصر كويسة ... واللي قالت إن ده معنا إنه فيه مليون مريض نفسي في مصر ... واللي اتفلسف وقال إن ده رقم مش صحيح نظراً لصعوبة الإحصاء ... إلا إنتي ... جاوبتي الإجابة النموذجية اللي في دماغي بالظبط

أحسست بالزهو والفخر حينما قالها وتذكرت إجابتي جيداً وقلت :

- أيوه أنا فاكرة إنني قلت لحضرتك إنه ده معناه إن ٩٩% من باقي السكان لسه ميعرفوش إنهم مرضى نفسيين
- بالظبط كدة
- أيوه أنا مؤمنة بكدة جداً ... إن المرض النفسي مش عيب ولا كارثة ... بالعكس إحنا كلنا عندنا مشاكل ... وكلنا نقدر إننا نحتوي مشاكل بعض ... ونساعد بعض
- وهي دي فلسفتي في العلاج ... مش بحب أبداً تكون العلاقة بيني وبين المترددين على العيادة علاقة دكتور بمريض لأن العلاقة دي مش دائماً بتساعد الحالة بل بالعكس ممكن تأخر العلاج ... أنا بحب علاقة الصداقة المبنية على تبادل الخبرات والمشاعر ... الجو الأسري أو الصحوبية أيأ كن اسمه بعيداً عن الرسميات والكلاليع

- تمام يا دكتور
- أنا عندي هنا مجموعة من الحالات اللي بتعامل معاها بشكل فردي ...
- قبل ما تمشي هديلك CD عليه كل الداتا اللي ممكن تساعدك في الشغل
- ... بيانات الحالات والتسجيلات الصوتية وبعض التقييمات اللي أنا
- عاملها
- بالسرعة دي يا دكتور ؟ المفروض إن دي أسرار وحاجات ما ....
- وإنتي فاكرة إني هديكي الحاجات دي كدة من غير ما أعرفك كويس ؟
- مش فاهمة
- أنا من يوم الإنترنت وأنا بسأل عنك وبعمل تحريات عليكي ...
- متخافيش أنا شاطر قوي في الحاجات دي ... وأعرف كويس إنتي مين
- وبنت مين وأفراد أسرتك بالتفصيل وبتشتغلي إيه وفين وبكام ... على
- فكرة العربية ١٢٨ بتاعتكم عليها ٤٥٠ جنيه مخالفات ... ابقي عرفي
- بابا بقى عشان يعمل حسابه
- والله ؟؟؟؟ وإيه كمان ؟؟؟؟؟

ضحك عاصم ضحكة رائعة زادته أناقة وجاذبية وتابع قائلاً :

- المعلومات هي أساس شغلنا يا دكتور بسمة ... و دي حاجة تظمنك
- متزعلكيش ... انتي هيكون معاكي خلاصة ٣ سنين شغل من ساعة ما
- رجعت من لندن حتى يومنا هذا
- حضرتك كنت مسافر ؟
- آه سافرت لندن قعدت فيها شوية ... شغل و دكتوراة وحاجات تانية
- هتعرفي كل حاجة في وقتها

- آه عارفها طبعاً ... أوروبا بقي
- الأنثى هي الأنثى ... لا اطمني يا ستي أنا مش بتاع الكلام ده ... أنا  
راجل متجوز وعندي بنتين واحدة في ثانوي والثانية قربت تخلص  
تجارة إنجليش ... وبيتي وأسرتي هم رقم واحد في حياتي
- ما شاء الله ربنا يخلي يا دكتور ... مع إن شكلك يدي على أصغر من  
كدة بكتير
- ده أنا بتعاكس بقي ؟
- لا بجد والله
- أعمل إيه يا ستي أول ما اتخرجت قام الدكتور عبد الحميد الله يرحمه  
جوزني بدري بدري قبل ما أنحرف ... الله يسامحه بقي
- كويس والله
- نرجع لموضوعنا ... أنا داخل على تجربة جديدة قديمة ... قديمة لأنها  
بتطبق في الدنيا كلها خاصة برة بيعملوها على نطاق واسع ... جديدة  
لأنني أول مرة أعملها ... عاوز أشتغل بطريقة العلاج الجمعي ...  
تسمعي عنها ؟
- طبعاً يا دكتور
- حلو قوي ... أنا هبدأ بمجموعة صغيرة ... مكونة من أربع شخصيات  
... هتلاقيهم في فولدر لوحدهم ... هشتغل معاهم كمجموعة واحدة من  
أول الشهر ... في وجودك طبعاً ... خطة الشغل هتلاقيها برضه عندك  
... عاوزك تذاكري الكلام ده كله بسرعة لأننا هنقابلهم يوم الثلاثاء  
الساعة ٦ مساءً من كل أسبوع .... يعني مفيش قدامك غير خمس أيام

- متقلّش يا دكتور
  - مش قلقان ... أنا ثقّتي فيكي كبيرة قوي
- وهنا دخل عم سليمان بالسحاب ، وضعه على المائدة الصغيرة أمامي  
وانصرف بكل هدوء ، فاستطرد عاصم قائلاً :

- أنا كدة خلصت كلام عن الشغل .... أحب أسمعك بقى
  - تسمع إيه بالظبط ؟
  - أي حاجة ... كلميني عن نفسك ... شغلك ... أي حاجة مع السحاب كدة
  - آه بدل اللب والسوداني يعني ؟
  - عاصم "ضاحكاً : لا الذكاء اللي أكثر من اللازم ده بيتعبني
- في دقائق وبكل براعة استطاع عاصم أن يذيب كل الجليد بينه وبينني و بدأت  
أتكلم وأحكي ولم أسكت إلا حينما اكتشفت فجأة أن الساعة اقتربت من  
العاشرة مساءً ، فقامت على الفور ورافقتي عاصم إلي المصعد و ودعني قائلاً  
:

- أشوفك على خير يا دكتور
- على معادنا الثلاثاء الجاي بإذن الله ... سلام يا دكتور ... ومن غير إيد  
أهو
- برافو عليكى ... بتتعلمي بسرعة
- أي خدمة ... سجلها في الملف بتاعي بقى



ودعني عاصم بضحكته المميزة وأغلق المصعد بابه و بدأت رحلة العودة إلى  
المنزل بعد يوم غير مسار حياتي للأبد

السبت ٢٧ فبراير ٢٠١٠ الساعة ٤ عصراً

أنا والملفات

لن أخفي إعجابي الشديد بشخصية الدكتور عاصم وأناقته ووسامته ، فبالرغم من فارق السن بيننا إلا أن له أسلوب مميز يدفعك إلى الحديث دون أي قلق أو خوف ، نبرة صوته الواثقة وملامحه الهادئة تضيء مزيداً من الارتياح لدرجة أنك ما إن تجلس معه لدقائق معدودة إلا وتشعر كأنك تعرفه منذ زمن ، لذا وجدنتي - أثناء فقرة سحب عم سليمان - أتحدث بمنتهى العفوية عن حياتي الجامعية والعملية وعشقي للقراءة والموسيقى الكلاسيكية ، وممارستي لرياضة الكاراتيه في صغري ، تحدثت عن عملي في المدرسة والصعوبات التي أواجهها مع الروتين اليومي والنظم واللوائح من جهة و أولياء الأمور ، تحدثت عن والدتي التي لا هم لها ولا دعاء إلا بالزوج الصالح الذي "يهنيني ويسعدني" بحسب قولها وكأنني أسبح في بحر الشقاء وحيدة في انتظار المنقذ ، تحدثت عن أشياء كثيرة ، عن أحلامي وطموحاتي ، عن حبي لمجال دراستي وعملي .

وبينما أنا على سريرتي بصحبة "اللاب توب" الخاص بي ، مستغرقة في دراسة الحالات التي أشار إليها الدكتور عاصم ، إذا بصوت هاتفي معلناً اقتحام أحدهم لهذا الهدوء الجميل

- ما تردي يا أحلى إخوانك ... ولا أنا بتصل في وقت مش مناسب
- هناء باشا ... أهلاً أهلاً ... وإيه الدخلة الهباب دي ؟



- آه آه اشتغليني بكلمتين عشان أنسى عملتك السوداء معايا
- خلاص والله هعوضها لك يا معلم ... بكرة بعد الشغل ننزل نظبط الدنيا
- كتب الكتاب يوم الثلاثاء ... يعني لو بعينيني بكرة هقتلك
- عيب عليكى ... والله ده كان رايح من دماغي موضوع كتب الكتاب ده
- كمان ... ده أنا أول يوم شغل ليا يوم الثلاثاء ... مش عارفة أعمل إيه  
والله دلوقتي
- من أولها بعتي أصحابك عشان عاصم ... خير خير
- لا طبعاً مش هيحصل ... هظبطها
- طب مش هتحكيلى عملي إيه مع سي عاصم
- أما أشوفك بكرة
- بكرة بكرة ... والله شكلك ناوية على إجازة بكرة ... ابقى اعملها وأنا  
أجيبك البيت أهده فوق دماغك
- لا والله جاية بإذن الله وهحكيلك ... وهنشترى اللي انتي عاوزاه ...  
وهظبطك
- ماشي يا عم المهم ... أسيبك أنا لاشتغالاتك ... سلميلي على طنط
- الله يسلمك ... مع السلامة يا قمر
- سلام يا جميل ... مع ألف سلامة

أغلقت الهاتف ، وجعلته على الوضع الصامت ، حقيقةً لا أرغب الآن في استقبال أية مكالمات ، لا بد أن أستعد جيداً للقاء الثلاثاء القادم ، حيث سنلتقي بالمجموعة التي شكلها الدكتور عاصم والتي تضم أربع شخصيات استطعت

أن أكون عنهم فكرة مبدئية بناءً على المعلومات التي قمت بحصرها من الملفات والتسجيلات الصوتية التي تمكنت من الإطلاع عليها :

ليلي ... ٤٠ سنة ... متزوجة ... لديها ولد وبنت ... حاصلة على ماجستير إدارة الأعمال ... تعمل مديرة موارد بشرية في بنك أجنبي ... إنسانة منظمة جداً ... حياتها تسير مثلما القطار ... مواعيد ومحطات ثابتة لا مجال فيها للتغيير أو العبث ... طباعها حادة ... شديدة التسلط في عملها ... قد يكون ذلك سبباً أو نتيجة بعض المشاكل الزوجية ... تعاني من قلة اهتمام الزوج وبعض الاكتئاب ... ليس لها أصدقاء ... أم منظمة جداً ... تحب ولديها وتولي لهما اهتماماً كبيراً ... ليس لها أنشطة واهتمامات تذكر .

شيرين ... ٢٨ سنة ... مطلقة ... حاصلة على بكالوريوس فنون تطبيقية ... عملت لسنوات قليلة في مجالات التصميم الداخلي والديكور حتى تزوجت من زميل لها واتفقا على أن تترك العمل من أجل البيت ... انفصلت بعد تجربة زواج قصيرة مريرة لم تتجاوز عامين ولم تثمر عن أطفال ... نشيطة واجتماعية جداً ... لها أنشطة خدمية تطوعية في عدد من النوادي والجمعيات ... تعاني من انعدام الثقة بالنفس والآخرين ... كثيرة الشكوك بسبب التجارب غير الناجحة التي مرت بها وآخرها الطلاق .

ميار ... ٢٢ سنة ... طالبة في الفرقة الرابعة بكلية الحقوق جامعة حلوان ... من أسرة غنية من محافظة الاسماعيلية ... تعيش خلال دراستها في بيت خالها "وحيد" موظف الأوقاف الذي يعتبرها واحدة من أبنائه ... مرت بتجربة شديدة القسوة حيث كانت مخطوبة لمعتز ابن خالها وحيد ، والذي مات في ظروف مأساوية ، الأمر الذي حول مسار حياتها من فتاة في قمة الالتزام الأخلاقي والتدين إلى مسخ بشري فوضوي شديد الغرابة شديد التناقض .

نادين ... ١٦ سنة ... طالبة في المرحلة الثانوية ... الأب عميد شرطة ... والأم مدرسة لغة فرنسية وقتها موزع ما بين المدرسة صباحاً والجيم مساءً ... لها اثنان من الأخوة أحدهما طيار مدني والآخر طالب في كلية هندسة البترول والتعدين ... الأسرة مفككة تماماً ... أغلب يومها على الانترنت سواءً على المحمول أو الكمبيوتر .. تكره من يتدخل في حياتها ويوجه لها النصائح ... متمردة على كل شئ ، جريئة إلى حد الوقاحة .

- حلو قوي الكلام ده ... و دي بقى شلة الأنس اللي الدكتور عاصم باشا جمعها كدة برابطة المعلم وقال إيه المفروض إنني أتابع علاجهم معاه ... وأول العلاج ده إنهم يتعرفوا على بعض ... ويحبوا بعض ... ويساعدوا بعض كفريق وحد ... وعيلة واحدة ... طبيب قوي الدكتور عاصم ده والله ... متخيل إن أربع ستات وأنا الخامسة بتاعتهم ممكن

نتفق ولو حتى على لون ستارة ... دول لو ربنا كرمهم واتعالجوا  
وخفوا واتفقوا مش بعيد يتفقوا عليك إنت يا عم عاصم ... أما نشوف  
آخرتها إيه معاكم يا شلة الأنس ... معانا يارب .

أخرجني من كل هذه التساؤلات صوت أمي "الحنون" الذي يسمعه كل  
جيراننا حينما تنادي علي :

- بسمة ... يا بسمة ... يلا يا بنتي الفيلم الأجنبي اللي إنتي عاوزة تتفرجي  
عليه هيبدأ

- أيوه يا ماما جاية اهو ... سامحني بقى يا دكتور عاصم ده توم كروز  
الغالي ابن الغالين مش أي حد يعني ... وبعدين بصراحة أنا تعبت  
نفسياً من الناس الغريبة اللي إنت بتعالجهم دول

- يلا يا بنتي والله بدأ

- أيوه يا ماما اااااااا ... وادي اللاب توب قفلناه اهو ... عملتي الفيشار يا  
ماما ؟

وطبعاً لو كتبت لكم رد أمي على موضوع الفيشار لتسببت في تحطيم ما تبقى  
من صورتها الذهنية العظيمة في خيالكم !

الثلاثاء ٢ مارس ٢٠١٠ الساعة ٥:٣٠ مساءً

## اللقاء المرتقب

يوم ملئ بالأحداث ... بدأ مع آذان الفجر ثم الذهاب إلى المدرسة والعودة سريعاً إلى المنزل حيث بدلت ملابسني وتناولت بضع لقيمات و نزلت سريعاً في الرابعة لحضور مراسم عقد قران زميلتنا العزيزة نرمين بمسجد النور في العباسية ... ومنه إلى المترو حيث اتجهت إلى المعادي لحضور اللقاء المرتقب الأول لمجموعة الموت التي شكلها الدكتور عاصم ... في تمام الخامسة والنصف كنت داخل العيادة ... المكان أكثر إضاءة وبهجة من ذي قبل ... ربما لأن هذا هو الحال أثناء استقبال الحالات ... الله أعلم ... ويبدو أن عم سليمان لديه حاسة سابعة مرتبطة بباب العيادة حيث بمجرد دخولي أجده يأتي مسرعاً لاستقبالي بابتسامته الحانية

- دكتورة بسمة ... اللهم صلي على النبي ... إيه الحلاوة دي
- عم سليمان بلاش إحراج أنا جاية جري من فرح واحدة صاحبتني واتهريت بصبصة
- أنا بقول برضه ده مش لبس شغل
- ليه هو دكتور عاصم بيتضايق من اللبس ده والميك آب ؟ أنا تقريباً مش حاطة حاجة والله ومليش في الميك آب من أصله
- لا مش للدرجة دي دماغك متروحش بعيد ... هو بس في بعض الحاجات كدة حنبلي شوية
- آه آه فهمت ... عامة دي مرة وخلص ... طمني الدكتور موجود ؟



- آه طبعاً ... هتلاقيه في المكتب بيصلي المغرب دلوقتي ... ثواني أبص  
لك عليه

اعتراني بعض القلق من كلام عم سليمان بالرغم من أن ملابسي وشكلي غير  
مبالغ فيه ، قد يكون ضيقاً إلى حد ما وألوانه زاهية ولكنها المناسبة هي التي  
فرضت هذه الأشياء ، وهنا جاء صوت عم سليمان :

- اتفضلي يا بنتي

دخلت مكتب الدكتور عاصم قائلةً : السلام عليكم ... رد وهو منهمكاً في طي  
سجادة الصلاة و وضعها في مكانها : وعليكم السلام ، ثم استدار ناظراً إلى ،  
و ما أن رأني حتى ارتفع حاجباه دهشة وأطلق الصفير المميز الذي يطلق  
الشباب تعبيراً عن إعجابهم بفتاة مرت من أمامهم .

- إيه ده كله ؟ إيه ده كله ؟ لا إحنا هناخد على كدة بقى

- إيه بس يا دكتور متحسسنيش إني المرتين اللي فاتت كنت باجي  
بالبيجاما بقى

- "ضاحكاً" لالالا بيجاما إيه مش قصدي والله ... مستغرب بس ...

انطباعي عنك إنك حد عملي قوي وملكيش في الجو ده

- والله أبدأ يا دكتور ... ده كان فرح وأنا لسه جاية منه حالياً

- كمان أفراح ؟؟؟ لا واضح إنه يوم عالمي

- بالله عليك يا دكتور ... والله ربنا اللي يعلم أنا بروح الأفراح دي

بالعافية ... بتحس كدة إنك مباراة في النفاق الاجتماعي والبصبة

الذكورية والأنثوية في آن واحد

- "ضاحكاً" طب ذكورية وعرفناها ... بصبصة أنثوية دي إزاي يعني ؟  
- تعالى بقى وأنا أقولك ... أولاً لازم كل واحدة تبص على إيديا كويس  
... لابسة الدبلة في اليمين ولا الشمال ؟ ... مش لابسة؟؟؟ ... يا ضنايا  
يا بنتي ليه كدة ؟ ... يلا عقبالك ... والله إنتي عسل هم الشباب اتعموا  
... يا إخواننا ارحمونا

- "ضاحكاً" والله إنتي طلعتي مشكلة ... كل ده ؟ ... بس بصراحة أنا  
مبسوط إنك جاية قبل معادك ... "ثم غمز بعينه" لا وبالشياعة دي كمان  
- والله بقى يا دكتور بصراحة بقى اسمح لي إنت أمرك عجيب  
- أنا ؟ إزاي ؟

- يعني ملتحي ... وبتهزر ... مش بتسلم بالإيد ... وبتسمع مزيكاً ...  
بتحافظ على الصلاة في وقتها ... وعمال تعاكس بقى من الصبح ...  
متحفظ جداً وعامل لنفسك قواعد وخطوط حمراء و .... "هنا انتبهت  
إلى وجود علبة سجائر على المكتب" ... وإيه ده كمان ؟ سجائر ؟  
بتشرب سجائر يا دكتور عاصم ؟ ... لا تعالى بقى حضرتك اتفضل  
على الشيزلونج

تعالى ضحكات الدكتور عاصم واحمر وجهه من كثرة الضحك ، وفي  
الحقيقة بالرغم من أن ضحكاته كانت مستفزة بالنسبة لي ولا تجيب على  
أسئلتى إلا أنني أحببت شكله الطفولي وهو غير قادر السيطرة على انفعاله  
وضحكاته

- كفاية كفاية حرام عليك هتموتيني منك لله  
- أنا برضه؟؟؟ سوري بقى بصراحة أنا مش قادرة أفهمك

- إنتي جاية تعملي تحليل نفسي ولا إيه ؟
- مش قصدي يا دكتور .... أنا كان قصدي أ....
- ريحي دماغك ... أنا هجاوب بالتفصيل على كل ده ... بس خرينا الأول  
نجهز للقعدة الجاية
- أوك ... زي ما تحب
- تغيرت لهجته وصارت أكثر جدية في لحظة واحدة واعتدل في جلسته قائلاً :
- على فكرة الأربعة موجودين هنا من بدري ... أنا عامل كذا مساحة هنا  
في العيادة للجلوس الحر ... العملاء بتوعي ببيجوا في الوقت اللي  
يحبوه غير مواعيد الجلسات ... بيقدوا يقرأوا ... يرتاحوا ... يدخنوا  
... يلعبوا ... عاوزك تبقى تاخدي جولة هنا في المكان ... العيادة عبارة  
عن شقتين مفتوحين على بعض و ده مدينا مساحات كبيرة عشان الناس  
تاخذ راحتها في المكان ومحدث يحس إنه غريب
- جميلة الفكرة
- أنا مرتب مكان محدد للقاءاتنا ... ومحدد شكل القعدة بحيث إنها تبقى  
على شكل دايرة كلنا شايفين بعض ... مريحة للكل ... فيه كراسي  
وفوتيهات وبين باج ... ولو عاوزين قعدة عربي موجودة كمان
- كويس جداً ... وأنا جاهزة يا دكتور
- في الربع ساعة دي لو حابة تقدي مع نفسك أو تشربي حاجة أو تسألني  
في أي شئ أنا تحت أمرك ... ويا ريت قبل كل جلسة لو تيجي بدري  
ربع أو نص ساعة نرتب دماغنا مع بعض
- آه أكيد أنا عاملة حسابي على كدة ... اطمئن .... هشر فك

- تمام جداً ... حلوة الروح دي ... وده اللي أنا محتاج له الفترة الجاية ...  
إحنا هنقعد كتير نسمع لهم سوا ونتفرج عليهم هم شايفين بعض إزاي  
... وفي اللحظة المناسبة نمسك إحنا الدفة ونوجه السفينة في الاتجاه

### الصحيح

- إن شاء الله
- يعني جاهزة ؟
- جداً
- على بركة الله ... يلا بينا

خرجنا سوياً من باب مكتبه ... لأول مرة ألاحظ أن العيادة فعلاً بهذا الحجم ...  
كأننا في شركة كبيرة ... غرف عديدة ومساحات مختلفة بديكورات شديدة  
التباين ... منها المودرن والقديم ... الشبابي والبناتي ... المكان كأنه مصمم  
ليجد فيه كل إنسان - مهما اختلف - راحته ، دخلنا قاعة الاجتماعات التي  
حددها دكتور عاصم ... كانت كبيرة الحجم ... بها سبورة بيضاء وجهاز  
بروجيكتور كالمستخدم في عرض الأفلام والتقارير ... مائدة مستديرة حولها  
أربعة كراسي ... مكان جانبي للجلوس مجهز كما قال عاصم بعدد من  
الكراسي مختلفة الشكل والحجم واللون ... دخلنا قبل الحالات الأربع ... وفي  
تماما السادسة و دون سابق إنذار دخلت كل منهن واحدة تلو الأخرى ... بدون  
دعوى أو نداء وكأن البيت بيتهن فعلاً ... كل واحدة اختارت لنفسها المقعد  
الذي يلائمها ... و كانت هذه هي نقطة البداية .

- عاصم : طيب ... بسم الله الرحمن الرحيم ... منورين يا بنات
- شيرين : أهلاً يا دكتور

- عاصم : عاملين إيه ؟
- نادين : عادي ... قاعدين أهو
- ليلي : بنستكشف لسه الوضع
- عاصم : القعدة غريبة مش كدة
- ميار : لا غريبة ولا حاجة ... بس شبه جلسات علاج المجانيين في الأفلام الأجنبية
- نادين "ضاحكة" : والله خدتها من على لساني
- ليلي "بحدة" : مجانيين ؟ ... إيه يا دكتور الكلام ده ؟
- عاصم "مبتسماً" : مدام ليلي متاخدش على كلام ميار ... هي بتحدف طوب بس طيبة والله
- ميار : إيه طنط عندها عريس ؟
- شيرين : دكتور عاصم لو سمحت فهنا إيه الموضوع ... أنا بدأت أقلق
- عاصم "موجهاً كلامه لي" : منورة يا دكتورة بسمة ... مش عاوزة تقولي حاجة إنتي كمان ولا إيه ؟
- بسمة : هو حد مديني فرصة
- نادين "بسخرية" : فرصة ؟ اتفضلي اتفضلي ... المايك الآن مع الدكتورة بسمة صاحبة الدكتور عاصم
- بسمة : صاحبة ؟
- عاصم "بحزم" : نادين ... ميصحش كدة
- ليلي : سوري يا دكتور هي متقصدش
- نادين : مطلبتش من حد يدافع يعني

- ميار : دكتور أنا شايفة إن حضرتك عاوز تجرب حاجة والحمد لله واضح إنها فشلت قبل ما تبدأ
- شيرين "تهم بالوقوف" : دكتور عاصم أنا مضطرة أنسحب من الخناقة دي وهبقى أكلم حضرتك
- عاصم : ممكن نهدي شوية ... أنا هشرح لكم ... مهندسة شيرين لو سمحتي اقعدى
- ليلي : اتفضل يا دكتور ... قول
- ميار : يقول إيه ؟ ... ماهي باينة زي الشمس ... الدكتور شكله هيخلع مننا ويسلمنا لزميلته الجديدة
- عاصم : ممكن أتكلم بدون مقاطعة ؟
- شيرين : يا ريت
- عاصم : إحنا بقالنا فترة كبيرة مع بعض ... وكلكم عارفيني كويس ومفيش حد فيكم موجود هنا غصب عنه
- نادين : إلا أنا ... و حضرتك عارف
- عاصم : مطبوط ... كلكم هنا بمحض إرادتكم إلا نادين ... أنا خاطفها
- شيرين : خاطفها ؟
- عاصم : بهزر بقى ... قلت محدش يقاطعني لو سمحتم ... إحنا مع بعض بقالنا شهور ... وخلال الفترة اللي فاتت حصلت لنا كلنا حاجات إيجابية ... وكثير من مشاكلنا أصبح ليها حلول ممكنة ... و ده شيء محدش يقدر ينكره ... و دلوقتي بقينا نقدر نعتمد على نفسنا
- ليلي : أفهم من كدة إنه دي مباراة اعتزال ؟ أو حفل ختام نشاط ؟

- بسمة : إطلاقاً ... دكتور عاصم يحاول يوصل لنا إننا مش هنعيش حياتنا كلها نتعالج ... أي حد رياضي بيحصل له إصابة لازم يمر بفترة علاج طبي ... علاج طبيعي ... تمرينات خفيفة لوحده ... وبعدين ببدا ينزل يتمرن مع زميله على خفيف ... ويكمل تأهيل معاهم لحد مايوصل لمستواه

لمحت في عيني عاصم إعجاباً شديداً بتدخلي وكلامي مما دفعني لمواصلة الكلام :

- بسمة : إحنا ستة موجودين هنا في القاعة ... مجموع أعمارنا يعدي ٢٠٠ سنة ... مجموع شهاداتنا محتاج مذاكرة سنين طويلة ... خبراتنا لو حطيناها جنب بعض ممكن تكسر الدنيا ... الفكرة بقى هي إنه ليه الإنسان يعيش لوحده لما ممكن يعيش في مجموعة ... فريق ... عيلة ... يتبادل معاهم خبراته ... من غير ما يكون فيه نمطية وروتين وحقوق و واجبات ... كلنا نقرب من بعض ونفيد بعض

- عاصم : عاوز أكمل على كلام دكتورة بسمة وأقول إنه الإنسان كائن اجتماعي ... بياكل ويشرب ويحب ويكره ويتعب ويتعالج وسط مجموعة ... أسهل كتير من إنه يعمل كدة لوحده

- شيرين : اسمحلي يا دكتور ... واختيار المجموعات تم بناءً على إيه ؟  
- ليلي : مضبوط فعلاً ... يعني أكيد فيه مجموعات تانية ... والمفروض نتقسم على أساس معايير واضحة ... زي السن والمؤهل والخبرات  
- بسمة "محاولة تخفيف حدة الحوار" : الكلام ده ممكن لو إحنا شركة توظيف يا فندم

- ليلي : والله أنا شايفة إنه استفساري منطقي وأتمنى إن دكتور عاصم يوضحلي بنفسه
- عاصم : طيب أوكي ... أنا هقول لحضرتك ... أولاً قصة المجموعات الثانية دي حاجة مش هقدر أجابك عليها لأنه بكل تأكيد أي حد برة الاجتماع ده ميعرفش أي حاجة عنه ... بالمثل أي حاجة بالشكل ده مش هقدر أدي عنها معلومات إلا لأصحابها
- شيرين : كلام منطقي
- عاصم : نيجي لنقطة الاختيار تم بناءً على إيه ... أنا هأجل إجابة السؤال ده شوية ... يعني تقدروا تقولوا إن إحنا كلنا في مرحلة اختبار قصيرة جداً ... لو تمت على خير هصارحكم بكل حاجة زي ما حنا متعودين مع بعض على الصراحة المطلقة
- نادين : يعني في الآخر مجاوبتش على حاجة ... برافو بصراحة
- ميار : والمطلوب مننا ؟
- بسمة : المطلوب إننا نتقابل ... نتعرف على بعض ... إحنا مجموعة مفيش بيننا أي احتمال لأي مصلحة مشتركة من دراسة أو بزنس و ده هيقبل كثير من احتمالات الشك والريبة بيننا وبين بعض ... زي ما بنكلم حد على الشات ونفضفض له عشان واثقين إنه لا هيشوفنا ولا نشوفه
- نادين : شكلك مذاكرة كويس
- ليلي : وأنا المفروض إنني اتكلم وأحكي وأتعلم منكم وإنتم في عمر ولادي ؟



- ميار : وإنتي ليه متخيلة إنه عشان عندك خمسين سنة تبقى فاهمة في كل حاجة ؟
- ليلي : خمسين ؟ ... لو سمحتي اتكلمي بأسلوب أحسن من كدة ... خليكى محترمة
- ميار : أنا محترمة غصب عن أي حد
- شيرين : مدام ليلي خلاص هي متقصدش
- نادين : ميار ... روق ياعم مش كدة
- ميار : إنتي مش شايفة أسلوبها
- عاصم "وقد أصابه الضجر" : خلصنا خناق ولا لسه ؟
- شيرين : أنا مش مرتاحة يا دكتور للحوار ده من أوله
- بسمة : ممكن ندي نفسنا فرصة نفكر كناس ناضجة شوية ؟
- ليلي : ناضجة إيه يا حبيبتى ... إنتي مش شايفة الطريقة ؟
- عاصم : من فضلكم ... كفاية تهريج بقى ... الموضوع خلاص انتهى
- بسمة : لا يا دكتور انتهى إيه بس ؟ ... لو سمحتم يا جماعة ... اقعديوا عشان خاطري
- ميار : أنا مستحيل أفضل دقيقة واحدة ....

فجأة سمعنا صوت عم سليمان يطرق الباب مستأذناً في الدخول

- عم سليمان : دقيقة لو سمحت يا دكتور
- عاصم : خير يا عم سليمان ... مش عادتك يعني تدخل لي وأنا بشتغل

- عم سليمان "محاولاً خفض صوته" : عارف والله يا دكتور بس فيه ولد  
بتاع دليفري بيقول جاي من عند حلواني "مونجيني" ومعاها علبة  
وحاجات ...

هنا تنبهت فقلت مسرعة وأنا أحمد الله في سري على دخول عم سليمان في  
هذه اللحظة

- بسمه : أيوه يا دكتور ده علوزني أنا  
- عاصم : عاوزك إنتي ؟ ... إنتي بقيتي بتستقبلي ناس هنا كمان  
بالسرعة دي ؟  
- سليمان : ولسه  
- بسمه "ضاحكة" : دقيقة واحدة بس يا دكتور وراجعالك ... تعال ياعم  
سليمان وريني إيه الحكاية

وبعد دقيقة أو أكثر قليلاً دخلت غرفة الاجتماعات أحمل التورته التي كنت قد  
طلبتها مسبقاً ، وخلفي عم سليمان حاملاً عدد من الأطباق والعصائر

- عاصم : فيه إيه يا دكتور بسمه ؟  
- عم سليمان : الدكتور بسمه جايبه تورته وأنا الدكتور بتاعي مانعني  
من الحلو ... يرضيك كدة ؟  
- ليلي : تورته ؟ وإيه المناسبة ؟  
- بسمه : تورته يا فندم ... هتكون إيه المناسبة يعني ؟ ... عيد ميلاد طبعاً  
- ميار : دي جايبه تعمل عيد ميلادها هنا ... قلشت منك دي يا دكتور ...  
إحنا ماشيين أصلاً

- بسمة : ومين قال إنه عيد ميلادي أنا ... "ثم تابعت وأنا أنظر إلى عيني نادين مباشرة" ... ده عيد ميلاد نادين
- شيرين : بتهزري ... "ثم وجهت كلامها إلى نادين" ... إنتي عيد ميلادك النهاردة

كانت نادين – كعادتها دائماً – منذ أن دخلت غرفة الاجتماعات وحتى هذه اللحظة تضع سماعات الأذن وتتنظر بين الحين والآخر إلى هاتفها المحمول تنتقل بين الصفحات والملفات حتى أثناء نقاشنا ... وكأنها غير عابئة بما يدور حولها ... إلا أنني حينما قلت "عيد ميلاد نادين" نظرت إلى في ذهول ... خلعت السماعات من أذنيها ... نظرت إلى الهاتف لتتأكد من التاريخ ... وضعت يدها اليسرى على فمها لتكتم شهقة أوشكت على الخروج ... وفي أقل من جزء من الثانية اغرورقت عيناها بالدموع ... وبدت شديدة الضعف والارتباك على غير عادتها ... كل هذا المشهد لم يستغرق إلا ثوان معدودة ... إلا أن منظر نادين قلب كياننا جميعاً رأساً على عقب ... لدرجة أنها عندما لاحظت ذلك أخذت تلملم أوراقها لتهم بالانصراف ... جرت "شيرين" وراءها مسرعة وأمسكت يدها ... وتبعتها أنا ولى لنحاول إنقاذ الموقف ... والدكتور عاصم يراقب اموقف وكأنه تمثال من الشمع

- نادين : متمسكيش إيدي لو سمحتي
- ليلي : مالك يا نادين حصل إيه يا بنتي
- نادين : أنا مش بنتك ... محدش له دعوة بيا
- بسمة : طب فهميني أنا عملت إيه غلط ؟

- نادين "في قمة الانهيار" : إنتي مش فاهمة حاجة ولا هتفهمني حاجة ...  
حرام عليكي عملتي كدة ليه ؟
- شيرين : إهدي بس يا نادين عشان نعرف نتكلم
- نادين : أنا لا عاوزة أتكلم ولا عاوزة أعرفكم أصلاً ... أنا ليا كلام تاني  
مع ماما ... شكراً قوي يا دكتور عاصم
- بسمة : طب ممكن تهدي عشان خاطري
- نادين : عاوزة مني إيه تاني ؟
- بسمة : كل ده عشان جبت تورتة وعاوزة نحتفل سوا ؟
- نادين "تمسح دموعها وتظهر قليلاً من الثبات" : إنتي عارفة إمتى آخر  
مرة اتعمل لي عيد ميلاد ؟ ... إنتي عارفة إمتى آخر مرة حد افكر عيد  
ميلادي أصلاً ... بلاش أحسن
- شيرين "محاولة المزاح" : طب و ده جزاءها يعني إنها عبرتك ؟ إنتي  
معندكيش دم على فكرة
- ليلي : ولا إحنا مينفعش نحتفل معاكي ... عشان عندنا خمسين سنة
- ميار " تتدخل لأول مرة" : ما خلاص بقى يا لولا ميبقاش قلبك أسود
- ليلي : لولا مين ياللي ....
- بسمة : بلاش والنبي أبوس إيديكم
- ميار : خلاص يا مزة عشان خاطر ك إنتي بس والله
- شيرين : حلوة مزة دي

- ميار "موجهة كلامها لنادين" : بت إنتي ... لو فاكرة إن الدمعتين دول هيقفلونا وتضحكي علينا وتلهفي التورته لوحك تبقى بتحلمي ... أنا قتيلة التورته دي النهاردة

- نادين "ضاحكة رغم الدموع" : والله إنتي باردة

- عم سليمان : ماتخلصونا بقى في ليلتكم دي ... هناك ولا نمشي

- عاصم : ده فيه حد عزم نفسه في الزحمة بقى

- نادين : لا كله إلا عم سليمان ... ده أول واحد ... وهو اللي هيقطع التورته كمان

- عم سليمان : ربنا يجبر بخاطرك يا بنتي ... "ونظر إلى هامساً" ... واحد صاحبنا اتكبس

- بسمة "ضاحكة" : طب حلو كدة قوي ... يلا بقى ورونا الهمة علوزين حفلة محصلتش

وكان تورته نادين هي العصا السحرية التي جمعت الشمل ... الكل يساعد الكل ... عاصم في قمة السعادة وعيناه لا تفارقني بنظرة كلها إعجاب وفخر ... عملنا الحفلة وقطع عم سليمان التورته ... أكلنا وشربنا وتبادلنا الحكايات والنكات ... وفي تمام التاسعة تبادلنا أرقام الهواتف ... وتبادلنا السلام بعد تأكيد الموعد القادم ... غادرت الواحدة تلو الأخرى ... كان آخرهم ميار التي قالت وهي تسلم علي :

- ميار : بس طلعت صايعة قوي منك حكاية التورته دي

- بسمة : يعني عجبتك ؟

- ميار : جداً ... كانت مفاجأة بصرحة لنا كلنا

- بسمة : طب الحمد لله
- ميار : وليه هو كمان ... "وغمزت بعينيها مشيرة إلى دكتور عاصم"  
... قوليله يخف شوية عشان مفقوس قوي
- هنا سمعنا الدكتور عاصم ينادي :

- عاصم : ميار ... سجايرك ... مش كل مرة تنسي تاخديها "قالها وهو  
ينظر إلي"

- ميار : ماتغلاش عليك يا دكتور ... مع إني عارفة إنك ملكش فيها  
بسمة : هي دي علبتك انتي ؟

- ميار : إيه عاوزاني أبطل إنتي كمان ؟  
بسمة : تبطلي إيه يا شيخة ؟ ... دي جميلة والله ... تعالي في حضني

#### حبيبتني

- ميار : والله انتي شكلك لاسعة وعاملة لنا فيها دكتورة
- بسمة : إنتي خدتي عليا بسرعة قوي على فكرة
- ميار : والله شكلي هحك ... ربنا يعينك يا بنتي
- بسمة : لا متخافيش عليا
- ميار : يلا على معادنا ... سي يو
- بسمة : سي يو ورحمة الله و بركاته

بعد مغادرة ميار حرص دكتور عاصم على النزول معي وأوصلني بسيارته  
إلى محطة المترو ... كان منبهراً بطريقتي واستغلالي لمناسبة عيد ميلاد  
نادين والفارق الذي حدث ... تبادلنا الكلام والسلام ... و عدت إلى المنزل

حيث كانت والدتي الحنون تنتظرنى بفارغ الصبر كي أعطي لها تقريراً  
مفصلاً عن كتب كتاب نيرمين يتضمن عدد الحاضرين وشرائحهم العمرية  
وحالاتهم الاجتماعية واحتمالية الفوز بعريس من الجماهير الغفيرة التي كانت  
تتابع بشغف ست الحسن والجمال ... ابنتها بسمة .

الثلاثاء ٩ مارس ٢٠١٠ الساعة ٦ مساءً

## يوم الفضفضة

كان اللقاء الأول بمثابة قفزة الثقة بالنسبة لي ... فقد استطعت – بفضل الله – أن أحقق عدداً من المكاسب في أولى جولاتي في معركتي أو لنسميها مباراتي على ملعب الدكتور عاصم ... استطعت أن أكسب ثقة الدكتور عاصم ... نجحت في إدارة الفريق الجديد ولو للحظات ... قطعنا شوطاً مهماً في التعارف والتآلف بين المجموعة كلها ... وقبل أن ينتهي الأسبوع كنا قد بدأنا نتبادل المكالمات والرسائل ولو لمرة واحدة على الأقل .

وفي السادسة من مساء الثلاثاء – كما هو معتاد – كنا نجلس جميعاً في نفس المكان السابق إلا أنه كان من الملاحظ اختفاء النظرات الحادة والجو الحذر الذي كان سائداً في بداية الجلسة الماضية ، وبعد قليل من الدردشات والهمهمات افتتح الدكتور عاصم جلسته وكان هذا الحوار .

- عاصم : النهاردة بقى عاوزين نبدأ رحلتنا مع بعض ... هنعمل حاجتين اتنين بس طول اليوم ... أول حاجة هنبدأ بالتعارف ... كل واحدة فيكم زي الشاطرة هتطلع على المسرح لمدة ٢٠ دقيقة مثلاً ... تعرفنا بنفسها ... تقول أي حاجة حابة إنها تقولها ... وبعد ما تخلص كل واحد فينا هيسألها سؤال واحد بس ولازم تجاوب عليه ومفيش أي شروط أو قيود على الأسئلة ... بعدما نخلص الفقرة دي هنلعب لعبة بسيطة مع بعض ونفنش ونمشي على طول ... اليوم دسم جداً فمش عاوزين نضيع وقت



... ودلوقتي بقى حد مين تحب تتطوع وتنور مسرحنا المتواضع ؟ ...

ولا اختار أنا بنفسى ؟

ساد الصمت قليلاً مع تبادل النظرات الباسمة المترقبة إلا أن الجين سيد الأخلاق كما يقولون ، فلم تبدي أي منهن استعدادها للمغامرة ، هنا أشار عاصم إلى نادين وبلهجة مسرحية أمره : اتفضلي يا نادين ... حيوا معايا نجمتنا نادين يا جماعة "وصفق لها وصفقنا بدورنا جميعاً"

- نادين : ماشى يا دكتور ... بتضحى بيا أنا ؟ ... أوك أوك
- عاصم : ده أنا عاوز مصلحتك والله ... عشان لم يفتروا عليكي بالأسئلة تعرفي تنتقمي منهم
- نادين : تصدق صح
- ميار "ساخرة" : هبله قوي
- نادين : شيليني من دماغك أحسن لك
- ميار : ولا تعرفي تعملي حاجة
- شيرين : يلا يلا بلاش تضيع وقت ... الدكتور قال وقتنا ضيق
- نادين : أوك ماشى ... هتكلم وأنا قاعدة مكاني ولا أطلع على السبورة ولا إيه دماغكم ؟
- بسمة : اللي يريحك ... زي ما تحبي
- نادين : أوك خليني قاعدة في مكاني بكرامتي أحسن ... بصوا بقى أنا هتكلم مرة واحدة محدش يقاطعني ... ولما أقول خلاص ابقى اسألوا ... ديل ؟
- بسمة : ديل ... انجزي بقى

اعتدلت نادين في جلستها ... وأغمضت عيناها للحظات أخذت فيها نفساً عميقاً وأخرجته بهدوء وكأنها تبدأ تمرين اليوجا ... ثم فتحت عيناها الواسعتين ... وبدأت تحكي :

- اسمي نادين فؤاد ... عندي ١٧ سنة ... وأسبوع عشان خاطر الناس اللي بتدقق ... أنا اتولدت في الدقي لكن قبل دخولي المدرسة جينا المعادي واستقرينا هنا عشان كدة أنا بعتبر نفسي من المعادي غير بابا وماما وإخواتي اللي عاشوا في الدقي سنين ... بابا ظابط كبير وهيبقى لواء قريب في الحركة اللي جاية زي ما بيسموها عندهم ... بيشتغل في حاجة كدة من اللي بيقلوا عليها جهات سيادية ... حياته شغل وبس ... ولو فيه وقت يبقى في نادي الصيد مع أصحابه ... هو تقريباً مولود هناك ... وهناك اتعرف على ماما ... سوزان والي ... اللي كانت ملكة جمال النادي واتجوزها وهي لسه في تانية أداب ... ماما مدرسة فرنساوي ... جميلة وشيك ولسه محتفظة بلياقتها وأناقته حتى الآن ... متصدقوش أبداً إن ليها ابنين واحد طيار والثاني مهندس بترول والثالثة الفاشلة اللي قاعدة معاكم دلوقتي ... إحنا أسرة شكلها شيك قوي في أي مناسبة أو فرح بنطلع في الصور حاجة كدة تشرف ما شاء الله ... سيادة اللواء وحرمة البرنسيصة وولادهم الطيار والمهندس ... بس كل ده فترينة ... منظر بس ... لكن جواه مفيش لا لون ولا طعم ولا ريحة

صمتت للحظات تناولت خلالها رشفة من كوب الماء الموضوع أمامها ، ثم تابعت بلهجة حادة :

- إحنا أسرة زبالة ... متستغربوش أنا مش بنت جاحدة ولا مجنونة ...  
بس بجد إحنا شوية ناس كدة ملهمش علاقة ببعض الظروف حكمت  
عليهم يعيشوا تحت سقف واحد بغض النظر عن أي مشاعر بينهم وبين  
بعض ... ده لو فيه أصلاً ... الأب سادي لأبعد الحدود من صغره في  
النادي ببسموه الجزار لأنه كان بوكسير من صغره ومفيش حد بيلاعبه  
إلا ولازم يطحنه ... بطل النادي والجمهورية في البوكس ... واللقب  
انتقل معاه الكلية والشغل والبيت كمان ... أغلب الوقت برة البيت ...  
سهر وسفريات ومأموريات جوه وبرة مصر لدرجة إن ماما زمان  
كانت بتتشك إنه متجوز عليها ... لحد ما حصلت الحادثة اللي طمنتها  
إنه فعلاً مكانش بيكذب ... من يومها لحد دلوقتي وهي مطمئة ...  
مطمئة جداً حتى لو حلف لها على المصحف إنه مسافر مع ٢٠ واحدة  
وبايت معاهم في سرير واحد .

- بسمة : للدرجة دي الحادثة طمنتها ؟ مش فاهمة حادثة إيه اللي تظمنها  
بصراحة

- نادين : اصبري اصبري لسه التقييل ورا ... بابا يا ستي خير اللهم  
اجعله خير كان بيطلع كتير مأموريات شغل في سينا ... المأموريات  
اللي بيمسكوا فيها الإرهابيين وتجار السلاح والمخدرات وأعداء الوطن  
والكلام بتاع نشرة تسعة ده ... بابا وكام واحد من زميله مش كلهم  
بصراحة كانوا بيحبوا الشغل ده قوي ... يمسكوا الناس دول وينفخوهم  
هم وأهاليهم ... مش فارقة بقى رجالة من ستات ... بيعملوا فيهم كل ما  
يخطر على بالك ... بيذلوهم ويكسروا عينهم قصاد أهاليهم بأوسخ



- نادين : عيب بقى ده كلام كبار فيه بنات قاعدين معانا "مشيرة بعينيها إلى ليلي وشيرين
- ليلي : مش فاهمة بصراحة فرحتك دي ، بجد مش لاقية لك مبرر
- شيرين : بصراحة أه ... ده باباكي يا بنتي
- نادين : بابايا ؟ جايز ... والله حتى دي مش متأكدة منها
- عاصم : نادين ... إحنا قلنا قبل كدة مفيش تجريح ولا تجاوزات ... وإنتي عارفة النظام
- نادين : سوري يا دكتور... بس من حق جمهوري يعرف ... مش إنت اللي اختارتني استحمل بقى
- بسمة : كملي يا نادين
- نادين : أوك : بعد الحادثة ناس كثير نصحوا بابا يغير من حياته شوية ... يسيب الشغل أو نغير بيتنا ... أي تجديد ... بالفعل جينا المعادي ... لكن فضل بابا في الشغل والحياة بنفس العنف والقسوة ويمكن أكثر
- ميار : مش بيحرم الراجل ده
- نادين : وبالتأكيد حياتنا كلها اتغيرت ... وأولنا ماما ... وإخواتي ... وأنا ... بابا بقى زي الكلب المسعور معندوش استعداد يتناقش في حاجة ... من وقت للتاني يجيب لماما هدية غالية عشان يعوض بيها عجزه ... ويومين بالكثير يرجع للزعيق والضرب وتكسير أي حاجة في البيت ... لو شاف اتنين في البيت بيتكلموا ويضحكوا يفكرهم بيتكلموا عليه ... بقينا نخاف نقعد مع بعض طول ماهو في البيت ... واتعودنا على كدة ... مبقيناش نتقابل إلا في المناسبات ... كل واحد ليه شغله

ودراسته وحياته ... عاوزة فلوس يا ماما ... خدي ... عاوزة فلوس يا بابا ... خدي ... وكأنهم كدة بيرضوا ضمائرهم إنهم مش مقصرين معايا ... محدش يعرف أنا عايشة إزاي أو مصاحبة مين ... لحد ما في يوم من الأيام ... سماح اللي بتظف لنا الشقة من وقت للتاني لقت في أوضتي شريط برشام و راحت مدياه لماما

- ميار : برشام إيه ... حبوب منع الحمل ؟
- نادين "ضاحكة" : آه يا زبالة ... لا لسه مش مستعجلة بصراحة
- بسمة : برشام إيه يا نادين
- نادين : برشام عادي من اللي الناس بياخدوه عشان يروقوا على أنفسهم شوية
- ليلي : مخدرات ؟
- نادين : مش بالطبط يعني ... حاجات كدة بتخليني أنسى وأضحك بس مش إدمان يعني
- شيرين : وعملت إيه ماما لما عرفت ؟
- نادين : عملت كأنها أم بقى وحببت تعيش عليا الدور ... استنتت لما أنا رجعت من برة ودخلت عليا الاوضة قال يعني بتواجهني بالجريمة اللي عملتها
- ليلي : أنا لو منها كنت قطعك حتت ... مخدرات ???
- نادين : قالتلي ممكن أعرف البرشام ده بتاع مين ؟ ... قتلها بتاعي أنا ... فيه حاجة ؟
- ميار : معلم

- بسمة : كدة على طول ؟
- نادين : ردت قالتلي وبتقوليه في وشي يا بنت الكلب ؟ ... والله لما ييجي أبوكي لأنا قايلة له خليه يدفنك هنا مكانك ... قتلها قوليله ... بس أنا كمان هقول له ... قالتلي هتقوليله إيه ؟ ... قتلها هقول له إنك مصاحبة
- عاصم : نادين ... الكلام ده لو كذب أنا مش هعديهاك
- نادين : والله العظيم ما بكذب ... إنت فاكِر إن ماما لما جابتنى هنا قالت لك كل حاجة ؟ ... كنت عاوزها تقول لك إيه غير إني معقدة ولساني تقيل وحاولت أنتحر ها ؟ ... كنت فاكِرها إنها هتقولك إنها كل يوم مع واحد ؟؟؟

- ليلي : يا بنتي مش كدة ... دي مهما كانت ماما
- نادين : ماما آه ... ماما اللي لما واجهتها بفضيحتها ضربتنى بالقلم ... قمت ضارباها قلم زيه بالظبط ... فضلت تضرب فيا وأنا عمال أعد لها الرجالة اللي هي عرفتهم من أول مسيو رمزي زميلها لغاية كابتن مراد اللي بتروح له الجيم بتاعه كل يوم ... ضربتنى علقة موت ... وحبستني في أوضتي وأخذت موبايلي واللاب بتاعي ... حسيت إنها ناوية تموتني فكرت في الهروب ... فتحت الشباك ونطيت ... وقعت من الدور الثاني ... رجلي اتكسرت ودراعي والترقوة ... قعدت كثير في المستشفى مش بنطق ولا اتكلم ... وماما كل يوم تيجي تقعد معايا شوية وتمشي ... حلفت لي إنها اتغيرت وبقت كويسة لكن أنا عارفة إنها بتضحك عليا ... طلعت من الحادثة بشوية مشاكل وعشت لهم دور المجنونة وإني لسانى تقل

- عاصم : يعني كنتي بتضحكي علينا ؟
- نادين : إنت الوحيد يا دكتور اللي بتكلم معاه بصراحة ... ودلوقتي انتم  
كمان
- ميار : ثواني بس ... وسيادة اللواء فين من الحواديت دي ???
- نادين : ماما لما اتجوزت بابا كانت شايفة فيه الرجل الكامل ... ظابط  
... رياضي ... وسيم ... مهذب ... من عيلة ... حد كدة ولا في الأحلام  
... لحد ما لبست في الحيط ... ولقته حيوان شغله هو حياته ... بيسيبها  
بالشهور ولا حتى بيعبرها بكلمة ... فكان لازم تغلط خاصة وهي  
شايفة نفسها سكسي والرجالة هيتهللوا عليها ... أول واحد كان مسيو  
رمزي زميل ماما في الشغل وتقريبا اتفق مع ماما إنها تطلق ويتجوزها  
... بابا عرف ... نفخ ماما ... ومسيو رمزي اختفى محدش عرف هو  
راح فين
- ميار : ورا الشمس ... معروفة يعني
- ليلي : ولما الموضوع اتكرر إزاي قبلوا يعيشوا سوا بالشكل ده ؟
- نادين : لعدة أسباب ... أولاً الشكل الاجتماعي للاتنين ... لازم نحافظ  
يا جماعة على شكلنا الشيك قدام الناس ... سيادة اللواء مينفعش يطلقها  
لأنه كدة هياكد الإشاعات اللي بتقول إنه بقى مبيعرفش ... حرم سيادة  
اللواء برضه مهم بالنسبة لها تفضل في نفس المكانة والهيبة
- شيرين : وإخواتك ؟ حد حاسس بحاجة ؟
- نادين : سيف شبه بابا ... عامل زيه بالظبط ... نفس القسوة والأنانية  
... وجوده في البيت زي عدمه ... لكن فارس ... ده الوحيد اللي ممكن



يتقال عليه إنسان في البيت ده ... بني آدم محترم عارف ربنا ...  
بيصلي وبيصوم في رمضان حتى أصحابه محترمين زيه ... مش  
بيدخن ومتقف جداً ... قاللي مرة إنه ماشي مع التيار الإسلامي في  
الكلية ... أصل أنا الوحيدة في البيت اللي بيقعد يتكلم معاها ...  
بينصحنى كتير بالحجاب والصلاة وكدة بس مش خنيق يعني ...  
بيحبني وبيخاف عليا جداً ... احتمال يكون عارف ... بس حتى لو مش  
عارف هو أصلاً كاره البيت كله .

- ميار : ده أكيد مكفر البيت كله يا بنتي ... اسأليني أنا
- نادين : احتمال كبير
- ليلي : وعلاقتك بماما عاملة إيه دلوقتي ؟
- نادين : من ساعة ما عريتها قدام نفسها وهي بتتخاشى نظراتي ... أكيد  
مش حاسة بالذنب لأنه مفيش حاجة أصلاً بتفرق معاها ... ممكن تكون  
خايفة مني ... و ده اللي كاسرها قدامي ... على قد مانا بحب فكرة إنها  
خلاص مبقاش ليها كلمة عليا ... على قد ساعات ما بتصعب عليا ...  
أنا أصلاً مبقيتش فاهمة هي مجرمة ولا هي ضحية بابا ... بابا اللي  
المفروض يكون هو القدوة والمربي بقى هو كل نارنا وعذابنا .
- شيرين : وجيتي هنا إزاي ؟
- نادين : بعدما عشت لهم في دور المجنونة وهددت ماما أكثر من مرة  
بالهرب أو الانتحار ... فيه حد من زمايلها اقترح عليها إنها تجييني هنا  
عند الدكتور عاصم ... هو أصلاً مدرس عربي وساكن هنا في نفس  
العمارة في الدور التامن ... فأنا باجي هنا على أساس إنني عندي درس

- عند مستر عبد الله ... فهتلاقوني كدة كل ثلاث جاية بكتاب وملازم  
العربي اللي بطلع أخذها من عند مستر عبد الله وأنزل لكم على طول
- عاصم : فاكرة أول يوم جيتي هنا ؟
  - نادين : و دي حاجة تتنسي ؟ .... كان منظري زباله طبعاً ... إيدي في  
الجبس وإيدي الثانية ماسكة العكاز وعمالة أعرج ومش عارفة أتكلم  
ونص حروفي طايرة
  - عاصم : ماهي طلعت اشتغالة بقي
  - نادين "ضاحكة" : الكلام آه لكن مفيش هزار في الجبس والشرايح  
والمسامير يا دكتور
  - عاصم : ماشي يا ستي ... خلاص كدة ؟
  - نادين : أنا بقالي كتير قوي بأتكلم ... و دي محصلتش من سنين ...  
وأظن أنا جاوبت على أسئلتكم قبل ما تسألوها ... ولا فيه حد له رأي  
تاني ؟
- لم يكن لدي أي أسئلة ... كذلك الحال بالنسبة لليلى وشيرين ... أما ميار فقد  
اخترقت جدار الصمت قائلة : أنا عندي سؤال .
- نادين : أوكي بس بشرط ... إنتي اللي تطلعي بعدي
  - بسمة : دكتور عاصم قال مفيش قيود ولا شروط
  - ميار : أنا موافقة ... معنديش مشكلة ... سؤالي هو : شايفة نفسك فين  
في المستقبل ؟
  - نادين : في جهنم وش ... مش عاوزة كلام
  - شيرين : أعوذ بالله ... حرام عليك

- ميار : أوكي هعتبرها إجابة يا فاشلة ... بس تبقى ترحمي أمي لما  
تسألني

- نادين : انسي يا روجي ... يلا اطلعي ع المسرح محدش هيسأل تاني  
... دورك

- عاصم : لالالالالالا إحنا نطلع فاصل الأول ... نادين وبعدها ميار ...  
خبطتين في الراس توجع ... إحنا مش قدكم ... عشر دقائق بريك  
ونرجع نفس أماكننا ... يلا فركش

انطلقنا إلى ركن المشروبات الذي حرص عم سليمان على إعداده مسبقاً ...  
وبنظام اخدم نفسك بنفسك أعد كل منا المشروب الخاص به ... وفي هذه  
الأتناء تشكنا على هيئة ثنائيات دون اتفاق مسبق ... وتبادلنا الأجاديث  
الجانبية ... عاصم وإيلي ... ميار ونادين ... وشيرين وأنا

- بسمة : إيه البت دي ؟ ... دي كارثة

- شيرين : بيتهيألك ... دي غلبانة والله

- بسمة : غلبانة ؟ ... دي مجرمة ... مش شايفة بنتكلم عن باباها ومامتها  
إزاي ؟

- شيرين : ماهم برضه مش ملايكة يا بسمة

- بسمة : على رأيك

- شيرين : لو بصيتي للموضوع من زاوية مختلفة هتلاقيها هي المجني  
عليها مش الجاني

- بسمة : مش هختلف معاكي ... بس متنسش إنه ليها اخ في نفس  
الظروف لكن أخذ خط مختلف ومستسلمش للظروف

- شيرين : أوك بس برضه الولد مش زي البنت ... وقابليتهم للتأثر مش  
واحدة

- بسمة : أكيد

- شيرين : والله ولا كنت بطبق منظرها ... بس لما عرفت حكايتها  
صعبت عليا

- بسمة : كلنا صناديق مقفولة ... يا عالم جوانا إيه وبنبين إيه ونداري إيه

هنا صاح الدكتور عاصم مشيراً إلى ساعة الحائط ومعلنًا انتهاء فترة الراحة  
وبداية فقرة ميار .

- ميار : أنا ميار رضوان ... ٢٢ سنة ... رابعة حقوق حلوان ... بابايا

محمود رضوان من أكبر تجار قطع غيار السيارات في الاسماعيلية ...

راجل عصامي بنى نفسه بنفسه ... اشتغل في اسكندرية وبورسعيد

والقاهرة ... وهنا اتعرف على خالي وحيد واتجوز أخته ... اللي هي

أمي طبعاً ... ورجع بيها على بلده الاسماعيلية ... عاشوا سوا وربنا

رزقهم ببنتين وولدين ... أنا أكبر إخواني ... ماما من عيلة أغلبها

شيوخ وأزهريين من أول جدي الله يرحمه وأغلب أخوالي ....

- نادين "مقاطعة بسخرية" : لا ماهو باين عليكي يا أخت ميار

- ميار "بعصبيه" : من فضلك ... أكمل كلامي

- نادين "وقد احمر وجهها" : أوكي سوري مش قصدي

- ميار : ماما ربنتا كويس جداً خاصة أنا ... من صغري وأنا نسخة منها

في كل حاجة ... الشكل والطيبة والحنية والتفاؤل والذكاء الاجتماعي

... من صغرنا اتربيننا على الحلال والحرام ... ماما بتخاف من ربنا

قوي وبتتقي الله جداً ... وساعدها على كدة بابا كمان ... هو طبيب  
برضه بس مش متدين زيها ... بس بقى من نوعية البنت ملهاش إلا  
بيتها ... مفيش داعي تتعلم ... اتعلمي حاجة تنفعك ... مذاكرة إيه و  
دروس إيه ... في الجو ده هنجح إزاي وأجيب كام مثلا ؟

- ليلي : بس متكريش إنه رضي إنك تدخلي جامعة وتعيشي لوحداك في  
بلد تانية ؟

- ميار : تصدقي بالله ؟ شهرين بنقتع فيه أنا وماما وهو مصمم إنني هقعد  
بعد الثانوية واتخطب لابن عمي شريك بابا في المعرض ... ومقتنعش  
إلا لما خالي اتدخل في الموضوع ... وكأن القدر حب ينصفني فطلعت  
نتيجة التنسيق وجيت حقوق حلوان ... بابا اتجنن ... خالي قال له هاتها  
تقعد عندي ... بابا مرضيش في الأول على أساس إنه خالي برضه  
مستواه أقل مننا بكثير ... بس بالعافية وافق في الآخر لأنه من زمان  
بيحب خالي وميقدرش يرفض له طلب

- شيرين : يعني ميز علش خالك لكن إنتي ومامتك عادي تتفلقوا ؟

- ميار : إحنا ستات ملناش رأي... في نظره درجة تانية ... حلو قوي إنه  
سايينا عايشين أصلاً .... المهم ... جيت الجامعة وسكنت عند خالي في  
حلوان ... بيت خالي جميل قوي ... دافي كدة وبسيط ... أقل حاجة  
بتفرحهم ... قعدة حلوة حوالين براد شاي بالنعناع بالدنيا وما فيها ...  
كلهم بيحبوا بعض ... في أقل من سنة اتمنيت إنني أعيش معاهم عمري  
كله ... عشان كدة لما بقيت في سنة تانية ومعتز ابن خالي صارحني  
إنه عاوز يتقدم لي قلبي رقص من الفرحة

- نادين : أيوه بقى

لم تسمع ميار تعليق نادين ، وتابعت كلامها وعيناها شاردتان وكأنها تنظر إلى شئ بعيد لا نراه

- ميار : معتر كان في رابعة تجارة وكنت أنا في سنة تانية وقت ما فاتحني في الموضوع ... معتر كان حالة كدة جميلة جداً ... ابن بار بأهله جداً ... بيقراً كثير قوي ... هو اللي حببني في القراءة وخاصة التاريخ والروايات ... وبسببه حببت أبو تريكة وبقيت بشجع الأهلي ... ليه طريقة كدة بتحبيك في الحاجة وتخليكي تعملها عن اقتناع من غير ما يقولك ده صح أو غلط واعلمي ده وسيبي ده ... بيلعب كرة حلو قوي وفي فريق الجامعة كمان ... ويبساعد زميله ويعمل لهم ملخصات وملازم امتحانات و ده طبعاً كن بيضايق ناس كثير خصوصاً الدكاترة اللي بيدوا دروس ... وأكثر من مرة هددوه وقالوله هنفصلك ونلبسك قضية أمن دولة ... لكن هو مكانش بيهمه ... لحد ما كان آخر يوم في امتحاناته و امتحاناتي أنا كمان وحصل اللي حصل .

- نادين : طبعاً قال لك خلينا إخوات أحسن

- ميار "متجاهلة سخافة نادين" : كان متفق معايا إنه يسافر معايا بعد آخر امتحان ويوصلني لحد بيتنا في الاسماعيلية ويكلم بابا في موضوعنا ... طبعاً بعدما استأذن باباه ومامته و أخذ منهم الضوء الأخضر ... وقفت أستناه على باب الجامعة ... لقيته خارج وجاي ناحيتي وفجأة ثلاثة نادوا عليه ... راح لهم ... كان شكلهم غريب ... واحد منهم مسكه قام معتر زق إيده ...ضربوه بعصايا على دماغه وقع

على الارض ... جريت عليه ونزلت أشوف جراه إيه مكانش في  
وعيه ... شدوني من الخمار وسحلوني على الأرض ... وشالوه حطوه  
في ميكروباص وجروا بسرعة ... كل ده والناس واقفة تتفرج وأنا  
بصرخ ... لملت نفسي وجريت على بيت خالي حكيت لهم اللي حصل  
... مرات خالي انهارت ... وخالي اتجنن ... ٤٨ ساعة مفيش نوم ...  
من مستشفى للتانية ... من قسم للتاني ... محدش عارف حاجة ولا حد  
عارف دول مين ... لحد ما خالي جاله اتصال من قسم المطرية

- ليلي : قسم المطرية ؟؟ ... ليه ؟؟؟
- ميار "وهي تغالب دموعها" : قالوله إنت وحيد والد معتز ؟ ... تعال  
استلم جثة ابنك
- شيرين : يا نهار أسود
- ميار : قالوا لخالي ابنك بينتمي لتنظيم هدفه إقامة الدولة الإسلامية  
وقلب نظام الحكم واتمك أثناء إعدادهم لعمليات تفجيرية ... وهو في  
الحجز المساجين اتخانقوا مع بعض ... ابنك مستحملش الضرب ...  
مات ... امضي بالاستلام وخذ الجثة من التلاجة على المدافن ... تدفن  
و تروح بيتك على طول ... ولا تعمل صوان ولا تاخذ عزاء واحمد  
ربنا إنك خدت جثته
- بسمه : بالبساطة دي ؟
- ميار : على كلام خالي معتز كان مفيش حتة في جسمه سليمة ...  
ضرب وجلد وكهربا وسجاير متطفية في جسمه كل ده عشان إيه  
منعرفش ... بيت خالي ادمر ... خالي طول الوقت ماسك مصحف

معتز وسبحته وقاعد لوحده مش بيكلم حد ... بابا طبعاً كان فاهم اللي  
مكنتش فاهماه ... خاف عليا أخذني الاسماعيلية وكان عاوزني أحول  
دراستي وأكمل هناك ... رفضت ... ضربني ... حلف ١٠٠ يمين إني  
مكملش ولا أعتب بيت خالي تاني لأنهم كلهم متراقبين وهيعتقلوهم  
واحد واحد ... قتلته إنت كداب ... معتز برئ واتخطف قدام عنيا  
ومكانش بيعمل حاجة غلط ... ضربني تاني وكانت أول مرة في حياتي  
يعاملني بالعنف ده ... أه بابا قاسي وطبعه ناشف بس عمره ما مد إيده  
عليا أنا بالذات ... تعبت ... تعبت قوي ... أول مرة أحس إني لوحدي  
... محدش عاوز يسمعني ... محدش قادر يفهمني ... ماما وإخواتي  
خافين من بابا ... وأنا محبوسة في أوضتي مش بخرج منها ...  
قدمولي اعتذار سنة واتنين في الجامعة ... نزلت ٢٠ كيلو ... اتحولت  
لجلد على عضم ... ماما مستحملتش ... هددت بابا إنه يرجع في كلامه  
يا إما هتاخذني وتسيب البيت ... بابا وافق إني أرجع الجامعة بس  
بشروط ... أغير طريقة لبسي وأقعد في حنة تانية غير بيت خالي ...  
ومصلش في الجامعة خالص ولا أصحاب حد ولا أعرف حد ... نفذت  
كلامه ... قلعت الخمار ... وبعدها قلعت الحجاب ... لبست قصير  
وضيق ... بطلت أصلي ... صاحبت ... سهرت ... شربت سجائر ...  
عملت كل حاجة كنت بقرف أفكر فيها ... عايشة في شقة مع واحدة  
زميلتي وحاجة زي الفل ... بروح البيت مرة في الشهر آخذ من بابا  
كام ألف وشكراً على كدة ... قمة الحرية اللي أي حد ممكن يتمناها .





جروبات كثيرة ... مسلمين ومسيحيين وملحدين ... كله بيشتم في كله  
ومحدث فاضي يسمع حد ... لحد ما لقيت أكثر من حد بيتكلم على إنه  
بيروح لاستشاري نفسي وحاجات كدة ... في البداية كنت بقول ده شغل  
مجانين أصلاً ... وبعدين لما لقيت ناس كثير بتتكلم على فوايد  
الموضوع كنت مقررة إنني لو رجعت القاهرة أروح لدكتور نفسي ...  
أنا أصلاً مش عاوزة نصايح من حد أنا عارفة الصح والغلط كويس  
جداً ... أنا عاوزة أتكلم وحد يسمعي وبس ... عملت كام سيرش ولقيت  
إنه دكتور عاصم فيه ناس كثير بينصحوا بيه ... جيت ... ومن أول  
جلسة اتفقت مع دكتور عاصم إنه يوم ما هيديني نصيحة هيكون آخر  
يوم ليا هنا ... والراجل بصراحة قال لي المكان ده مش بتاع نصايح ...  
أنا فاتح كدة بس عشان الناس تيجي تقعد تشرب حاجة تقرا حاجة ...  
واللي عاوز يكلمني ييجي المكتب أهلاً وسهلاً ... بصراحة ثبتني  
بكلامه

- عاصم "ضاحكاً" : ثبتك ؟ ... إنتي حد يقدر يثبتك برضه ؟
- ميار : يا دكتورووووور ؟ ... والله إنت جامد قوي بس مش واخذ حقك
- شيرين : وإنتي فين في الدنيا دلوقتي ؟
- ميار : عادي بقي ... آخر تيرم ليا في الجامعة ... عاوزة أنجح بقي  
كفاية السننتين اللي راحوا وأنا في البيت ... بخرج وأسهر واشرب ...  
بعمل كل اللي في نفسي ... ساعات بقرف من نفسي ... بس شغال  
يعني ... مقضياها
- بسمة : يا خبر ... الساعة بقت تسعة

- عاصم : نادين وميار خلصوا علينا النهاردة
- ليلي : بصراحة فاجئوني ... أنا حاسة إني مش هقول حاجة جنب كل الأفلام اللي سمعتها دي والله
- شيرين : فعلاً وجبة دسمة جداً
- نادين : وبعدين يعني ؟ ... هتخلعوا ولا إيه ؟
- بسمة : بصراحة حلو قوي كدة المرة دي
- عاصم : أوك نكمل المرة الجاية
- شيرين : في نفس المعاد ؟
- عاصم : أكيد طبعاً ... لو فيه تغيير هنبلي الكل
- ميار : زي الفل ... نشوفكم على خير

قمنا للانصراف ، أخبرني دكتور عاصم أنه كان يريد الحديث معي على انفراد ولكنه أشفق علي بعد اليوم الحافل الذي مررت به ، فاتفقت معه على أن أقابله الخميس في العيادة عقب انتهاء اليوم الدراسي ، رافقنا كعادته إلى باب المصعد ، ونزلنا جميعاً حيث تبادلنا السلامات والقبلات كالعادة ، ومضى كل منا إلى وجهته .

الخميس ١١ مارس ٢٠١٠ الساعة ٤ عصراً

ليمون بالنعناع

في اللقاء الذي اتفقت فيه مع الدكتور عاصم على مواعيد عملي حدد لي ثلاثة أيام فقط في الأسبوع ، حيث اتفقتنا على أن أذهب للعيادة أيام الأحد والثلاثاء والخميس من السادسة إلى التاسعة مساءً ، لم يكن عملي قاصراً على المجموعة الرباعية التي شكلها عاصم ، بل كان في خطته أن يسلم لي كل أعمال العيادة ولكن بشكل تدريجي ، يبدأ من دراسة كافة الحالات جيداً واستقبالها ومراقبتها أثناء فترة التواجد بالعيادة ، كانت العيادة عبارة عن استراحة أنيقة ، يأتي إليها الدكتور عاصم صباحاً أيام السبت و الاثنين والأربعاء ومساءً أيام الأحد والثلاثاء والخميس ، أما يوم الجمعة فيفضيه بالكامل مع عائلته ، كان من المفترض أن ألتقي به في العيادة في السادسة كما حدد لي سابقاً ، لكنه اليوم طلب مقابلي في نادي المعادي في الرابعة عصراً لأنه لن يتمكن من التواجد في العيادة هذا المساء بسبب حضوره بطولة النادي في التنس والتي تشارك بها إحدى ابنتيه ، في الرابعة إلا الربع كنت أمام محطة مترو المعادي حيث كان الدكتور عاصم ينتظرنني في سيارته كي نذهب سوياً إلى نادي المعادي الذي يعتبره البيت الثاني له إن لم يكن الأول ، دخلت السيارة فأدار المحرك على الفور وانطلق بها إلى النادي .

- حمدالله ع السلامة

- الله يسلمك يا دكتور ... إيه مستني من بدري ؟

- لا أبداً بس كنت خايف متاخدش بالك مني وسط الميكروباصات  
والتاكسيات دي كلها
- على أساس إني مش هعرف أميز عربية بي إم حمراء آخر موديل  
وسط الزحمة دي ؟
- إحنا بنقر ولا إيه ؟ امسكي الخشب يا دكتور
- لا اطمئن والله مش حسودة خالص أنا
- إيه عمالة تتلفتي يمين وشمال إيه ؟ مش خطفك والله ؟ ولا خايفة حد  
يشوفك مع راجل غريب في عربيته ؟
- هو حد بيخطف حد الساعة أربعة في بي إم حمراء يا دكتور ؟
- يااa

انكمشت داخل مقعدي بينما كانت السيارة تعبر البوابة الرئيسية للنادي حيث  
ألقي عاصم التحية على رجال الأمن الذين بادلوه التحية بشكل يعكس مدى  
حبهم واحترامهم له ، دخلنا إلى المكان المخصص لركن السيارات ، ركن  
عاصم سيارته و نزلنا منها وتوجهنا إلى كافيتيريا النادي وتحديدًا إلى المكان

الذي عرفت فيما بعد أنه المفضل لدى عاصم ، بمنتهى الذوق سحب لي مقعداً  
مما زادني خجلاً على خجل .

- ده بقى يا ستي نادي المعادي ، من يوم ما وعيت على الدنيا لقيت أبويا  
الله يرحمه عضو مجلس إدارة النادي ، كان بيعتبر النادي بيته و وراثنا  
منه الحتة دي أنا وأخواتي ، هنا كبرت ولعبت وذاكرت وحببت  
واتحببت ، هنا ضحكت وبكيت ، أيام كاملة ممكن أقضيها هنا ، من  
ساعة ما بصحى الفجر وآجي ألف التراك شوية ، أفطر وأشرب قهوتي  
، بقابل عملاء كثير هنا ، بالمناسبة نص أعضاء النادي زباين عندي  
في العيادة ، يعني النادي يعتبر بالنسبة لي برضه مكان شغل ، غير كل  
ده بناتي ندى وشذى متربيين هنا ... ندى في رابعة تجارة من أبطال  
التنس هنا في النادي والنهاردة عندها بطولة مهمة جداً ... وشذى لسه  
في ثانوي وكابتن فريق السلة ... مينفعش يفوتني تمرين أو بطولة  
لواحدة فيهم ... بالظبط زي حفلات المدرسة وأعياد الميلاد ... ممكن  
ألغي أي ارتباط لو تعارض مع حاجة تخصهم .

- وبالنسبة لمامتهم ؟

- سلوى دي بقى هدية ربنا ليا ... حاجة كدة زوجة وأخت وأم ومديرة  
أعمال ... زكية جداً وعارفة قيمة شغلي بالنسبة لي ودايماً بتساعدني  
على ده وبتشجعني كمان ... إحنا اتجوزنا صغيرين نسبياً ... يعني أنا  
كنت لسه مخلص دراسة وهي يادوب في تالثة تربية ... بنت عمي بقى  
وزيتنا في دقيقنا زي ما بيقلوا

- ما شاء الله ... حاجة عظيمة بجد ... ربنا يحميكم

- العيلة يا بسمة ... العيلة هي سبب سعادة أو شقاء أي حد في الدنيا ...  
وأديكي شايقة في شغلنا كل المصايب سببها العيلة
- هممت بالرد إلا أن الجرسون سبقني دون أن أتنبه لقدمه
- الجرسون : دكتور عاصم ... اللي منور الدنيا كلها  
- عاصم : أيوب حبيبي ... أخبارك إيه والشغل عامل إيه ؟  
- الجرسون : والله في نعمة يا دكتور ... الحمد لله رب العالمين  
- عاصم "موجهاً كلامه إلي" : تشربي حاجة الأول ولا نتغدى على  
طول ؟  
- بسمة : لا غدا إيه ؟ ... هي ماما كانت هتسبني أخرج من غير غدا ؟  
... مستحيل طبعاً
- الجرسون : شكل الأستاذة مش عاوزة تنفعنا بحاجة يا دكتور  
- عاصم : هي هتروح فين ؟ مسيرها هتيجي متقلقش ... طب تشربي إيه  
؟ أيوب بيعمل لمون بالنعناع فريش استحالة تدوقيه في أي حنة تانية  
- بسمة : أوك ماشي عشان خاطر أيوب بس  
- عاصم : ماشي يا أيوب يبقى لمون بالنعناع للدكتورة وأنا القهوة بقي  
من البن بتاعي
- الجرسون : طبعاً يا دكتور عارفين النظام ... خمسة وأكون عندكم  
بالطلبات
- انصرف أيوب مسرعاً بصينية الأكواب الفارغة بطريقة تضاهي أكثر لاعبي  
الأكروبات براعة ، وتابع عاصم حديثه :

- كنا بنقول إيه بقى ؟
- حضرتك كنت بتقول إن العيلة هي الأساس
- تمااااام
- بس اسمحلي النظرية دي مش صحيحة في أوقات كثيرة
- حتى بعدما سمعتي قصص نادين وميار ؟
- قصص نادين وميار هي نفسها اللي بتأكد كلامي
- يا سلااام ... إزاي بقى ؟
- ببساطة شديدة جداً نادين ليها أخ و اتعرض لنفس ظروفها ... بس ده خلاه رفض الواقع وأخذ خط مخالف تماماً ... هي استسلمت لكن هو لأ بالرغم من إن ظروفهم واحدة ... نفس الكلام عند ميار وغيرها ...
- عمر العيلة ما تكون هي كل حاجة ... في أكثر البيوت المؤمنة زي بيت سيدنا نوح طلع له ابن كافر ... وفي أكثر البيوت الضالة اتربي سيدنا موسى ... فمش هنقدر نحمل العيلة لوحدها المسئولية
- بس متكريش إنه نفس البذرة لو غيرنالها التربة والميه والجو هتدي نتيجة مختلفة كل ما نغير حاجة
- معاك ... أنا مقلتش من أهمية الأسرة والعيلة ... لكن برضه هي مش كل حاجة
- أوك ... أنا مش مستعجل ... نأجل الحوار ده لحد ما تذاكري بنفسك باقي الحالات وساعتها ابقى اديني قرارك
- اتفقنا ... هو أيوب اتأخر ليه كدة ؟
- إيه مستعجلة ولا إيه ؟



- لا كنت عاوزة أروح العيادة بدري شوية عشان حضرتك مزوغ النهاردة

- أنا؟ مزوغ؟ ... "وضحك ضحكة عالية وتابع" ... عليكى كلام يا بوسي

- بوسي؟ مين بوسي؟

توقف عاصم عن الضحك ، وبدا متلعثماً وكأنني أخرجته بسؤالى

- بوسي ... دلع بسمة ... عادي أنا بهزر ... قلت إحنا في نادي بقى ومش كل شوية هقولك يا دكتور بسمة وجو المكتب ده  
- هحاول أقتنع

وصل أيوب وبحركة تتم عن خبرته قدم المشروبات بمنتهى الحرفية والשיاكة وابتسامته والجملة التقليدية التي تقال في هذا الموقف؟

- أيوب : أي خدمة تانية يا فندم

- بسمة : ميرسى يا أيوب

- عاصم : شكراً يا أيوب ... لو احتاجنا حاجة تانية هبقى أقولك

- أيوب "منصرفاً" : تحت أمرك دائماً دكتور

- بسمة : صحيح مش هشوف حد من البنات النهاردة؟

- كنت عاوز آخذك بصراحة ونبص على ندى وهي بتستعد للماتش ...

بس بصراحة خايف أشنت انتباهها

- وشذى؟

- للأسف عندها درس دلوقتي ويادوب هتيجي الساعة ٦ على بداية  
الماتش بالظبط
- يبقى أنا اللي حظي وحش بقى
- لا خالص ... الجايات أكثر ... وانتي خلاص عرفتي المكان وأكد  
هنتقابل كتير بعد كدة
- ربنا يسهل
- اتفضلي اشربي

تناول عاصم قهوته بينما كنت أشرب المشروب العجيب الذي طلبه لي ...  
خلال تلك الأثناء تابعنا الحديث عن الحالات والعيادة ... ومر الوقت سريعاً  
فقمنا إلى السيارة حيث أصر عاصم على أن يوصلني إلى العيادة ... وعلى  
باب العمارة تركني وعاد ثانية إلى النادي ... دخلت العمارة وصعدت إلى  
الدور الرابع لأجد الباب مفتوحاً كالعادة ... سلمت على عم سليمان ودخلت  
مكتب الدكتور عاصم وأغلقت الباب ... ألقيت حقيبتني على المكتب ...  
وجلست على الكنبه الأنيقة رغبة في هدنة قصيرة قبل بداية العمل .

كنت أفكر في عاصم ... وأفكر أكثر في سبب استدعائي لمقابلته في النادي ...  
لم أجد إجابة ... هل كان يريد أن يعرفني على أيوب ؟ أم أن أخوض تجربة  
الليمون بالنعناع ؟ ... لماذا كان يتكلم كثيراً عن أسرته وبناته ؟ ... ما الهدف  
من هذا اللقاء الذي لم يذكر فيه العمل أو العيادة إلا لحظات معدودة ... سمعت  
طرقات عم سليمان فاعتدلت في جلستي وقلت : اتفضل يا عم سليمان

- هتشربي حاجة يا بنتي

- ياريت ياعم سليمان تعمل لي شوية شاي كشرى عشان دماغي وبطني  
مقلوبين
- سلامتك ... أحط لك على الشاي ورقة نعناع ... ولا أعصرلك لمونة؟
- تاني لمون ونعناع؟ ... إنتو متفقين عليا والله
- يا بنتي هو أنا قلت حاجة غلط؟
- شاي ياعم سليمان ... معلقة شاي على معلقة سكر في كباية إزاز  
وعليهم شوية مية مغلية ... حبايب؟
- حبايب يا ستي ... دقيقة واحدة ويكون عندك

انصرف عم سليمان ، قمت إلى مكتب عاصم ، جلست مكانه ، ولأول مرة  
ألاحظ البرواز الأنيق الذي يزين مكتبه والصورة العائلية الرائعة التي بداخله  
، كانت الصورة على ما يبدو في إحدى القرى السياحية وتجمع عاصم  
بزوجته سلوى ومعهما ندى وشذى ، ويبدو أن الصورة قد تم التقاطها منذ  
فترة طويلة قبل أن يغزو الشيب رأس عاصم الذي كان حليق الذقن في  
الصورة أيضاً ... صورة تعبر عن أسرة رائعة في قمة سعادتها بحق .

- والله أمور يا عاصم ... بس على فكرة وإنت بدقن ونظارة أحلى ... ده  
إنت أحلى من مراتك ... وبعدين بقى ... من إمتى يا ست بسمه الكلام  
ده ؟ تكونيش معجبة بيه ولا إيه ... لا عادي يعني ده قد أبويا ... قد  
أبويا آه ... أنا تقريبا سمعت الكلمة دي قبل كدة ... يلا يا حلوة سيبي

الصورة وافتحي الكمبيوتر و صلي على النبي وابدأي شغل ... عشان  
ثواني وهتلاقي مستشفى المجانيين بتاعت عاصم دي اتملت .

فتحت الكمبيوتر الخاص بالدكتور عاصم ... كل شئ منظم ... يقسم عاصم  
حالاته وفقاً للعديد من المعطيات والفئات ... تارة حسب الشرائح العمرية  
وتارة حسب المستوى المادي والاجتماعي ... حالات كثيرة لأناس من كل فئة  
ولون .... مشاهير وكتاب ولاعبين كرة ورجال أعمال وفنانين ... ملفات  
وصور وفيديوهات ... عدد من المراجع العربية والأجنبية ... قسم كامل  
للموسيقى الأجنبية وروائع الموسيقى العربية الاصيلة ... كنت أبحث عن لا  
شئ ... أدور بين الملفات والبيانات بلا هدف ... حتى أخرجني صوت شبيه  
بصوت الدكتور عاصم إلى حد ما ولكنه بالطبع ليس هو ... وقد ارتفع صوته  
بالمزاح مع عم سليمان ... وفجأة و دون سابق إنذار اقتحم صاحب الصوت  
مكتب الدكتور عاصم دون استئذان ... وتسمر مكانه للحظة حين رأي  
وسألني بلهجة تعجب مصحوبة بالاستنكار :

- إنتي مين ؟
- أنا ... إنت اللي مين ؟ وإيه الدخلة دي ؟ مش فيه باب بنخبط عليه  
الأول ؟
- باب إيه ؟ ... بقولك إنتي مين وبتعملي إيه هنا ؟
- بص حضرتك لو ده معادك مع دكتور عاصم فلأسف الدكتور مش  
هيقدر يكون موجود النهاردة
- ليه بقى إن شاء الله ؟ ... ومين إيدالك الإذن تتكلمي باسمه وهو مش  
موجود ؟

- أنا بسمة ... المساعد الجديد للدكتور عاصم
- بسمة ؟؟؟ ... جميل والله ... بس برضه إزاي عاصم ميبغلغنيش وهو عارف إني جاي ؟
- الدكتور عاصم "وضغطت جيداً على كل حرف في كلمة الدكتور كي ألفت انتباهه" عنده مشوار مهم وممكن حضرتك تتصل بيه عشان تتأكد
- قوي قوي ... و آدي قعدة ... لما نشوف آخرتها
- جلس على أحد المقاعد وأخرج هاتفه المحمول ، واتصل بعاصم الذي رد عليه على الفور
- إنت فين يا عم الدكتور ؟ ... إنت مش عارف إني جاي من اسكندرية وقايل لك إني هعدي عليك ؟ ... أيوه يعني إيه يعني نسيت ؟ ... إنت مش عارف أنا ممكن أعمل فيك إيه دلوقتي ؟
- أحسست بقليل من الخوف مع هذا التهديد الصريح من شخص يبدو أنه من الحالات الخطرة ... وهنا أطلق هذا الغريب ضحكة عالية
- حبيب قلبي واللي مربيني ... بس إيه رأيك في دخلة المجانيين دي ؟ ... واحشني يا أخي واتفاجئت لما جيت العيادة ولقيتك مش موجود ... آه أنا في العيادة وقاعد في مكتبك كمان مع بسمة ... مش تقوللي ياعم إنك عينت موظفين جداد بدل مانا داخل زي الأطرش في الزفة كدة ... لا خلاص أنا قاعد شوية هشرب القهوة ونازل ... لا متجيش طبعاً أنا

هبقى أعدي عليك وقت ثاني ... خلاص والله هي ربع ساعة ونازل  
على طول ... خلاص براحتك تعال .

أغلق الهاتف و وضعه في جيبه ونظر إلى وقد تغيرت ملامح وجهه لتصبح  
أقل حدة

- وإنتي موجودة هنا كل يوم ؟
- لا على حسب الشغل
- وتعرفي عاصم من زمان ؟
- لا ... الدكتور عاصم كان عامل إعلان من كام شهر وقدمت ونجحت  
ولسه مستلمة من حوالي شهر
- كمان ؟ ... الواطي عمل إعلان من غير ما يقوللي
- هو حضرتك ليه محسني إنك شريكه في العيادة
- طب مانا بالفعل شريكه
- نعم ؟؟؟
- أقدم لك نفسي ... مهندس حازم عبد الحميد النجار ... الشقيق الأصغر  
للدكتور عاصم عبد الحميد النجار ... ٣٢ سنة ... مهندس في شركة  
بتروول وعایش في اسكندرية ... أعزب ولا أعول ... عاصم أخويا  
الكبير وهو اللي مربيني ... إيه رأيك بقى في التربية
- ونعم التربية والله
- إيه ؟؟؟
- لا قصدي أقولك حمدالله ع السلامة والله

- الدور ده أصلاً كان شقتين ... واحدة كنا ساكنين فيها والثانية كانت  
عيادة والدي الله يرحمه ... وبعدها والدي اتوفى وقسمنا الميراث عاصم  
أخذ الشقتين دول وفتحهم على بعض كان عاوز يعملهم عيادات خيرية  
بس سكان العمارة يا ستي قالوله إنت هتقلبها لنا مستوصف ويدخل لنا  
العمارة أشكال ما يعلم بيها إلا ربنا وبدأوا يخنقوا عليه ... لحد ما سابها  
زي ما هي وعملها عيادة نفسية كبيرة زي مانتي شايفة بالشكل  
الموجود قدامك ده

هنا دخل عم سليمان بالشاي والقهوة و وضع الصينية على المائدة

- سليمان : حاجة تانية يا هندسة ؟
- حازم : ربنا يبارك في عمرك يا راجل يا بركة
- سليمان : أصيل يابني وابن أصول ... مترغيش معاه كثير ده ياكل  
دماغ بلد
- حازم : أنا ؟ ده أنا حتى بيسموني في الشغل "الوضع صامتاً"
- سليمان : هزاز يعني ؟
- بسمة "ضاحكة" : أهو شفت إنت اللي بترغي دلوقتي
- سليمان : الحق عليا شايفكم مش طايقين بعض قلت أطف
- حازم : عجوز بس مصيبة
- سليمان : مين يا ض ده اللي عجوز ؟ ... تلاعبني رست ؟
- حازم : امشي ياعم عشان عاصم لو جه لقاني قالبهاله سيرك كدة  
هيبهدلني
- بسمة : هو الدكتور عاصم جاي ؟ إنت متأكد ؟

- حازم : آه طبعاً ... ده شكله اتخض يا عيني لما عرف إني هنا
- بسمة : غريبة ... المفروض إنه في النادي دلوقتي عشان بطولة التنس اللي ...
- حازم : تنس؟؟؟ ياااه ... هو لسه فيه الداء ده ؟
- بسمة : داء إيه حضرتك مش فاهم حاجة ... النهاردة فيه بطولة تنس والدكتور عا...

هنا دخل عاصم المكتب مسرعاً وكأنه كان يجري طوال المسافة من النادي إلى العيادة ، وبدا صوت أنفاسه المتلاحقة عالياً وهو يقول : إنت بقالك قد إيه قاعد هنا ؟

- حازم : يادوب لسه داخل وأول ما دخلت كلمتك ... يعني مفيش دقائق ... إيه بس مالك ؟
- عاصم : مالي إيه ؟ ... أنا كويس ... إنت اللي فاجئتني بس
- بسمة : تتصور يا دكتور إن المهندس حازم استغرب لما قتلته إنه حضرتك في النادي عشان البطولة
- عاصم : إنتي كمان قتلته إني في النادي ؟ ... قتلته إيه كمان ؟ انطقي
- بسمة : مقلتش حاجة والله ... أنا أصلاً مكنتش أعرف هو مين وعاوز إيه ... ولسه معرفني بنفسه
- عاصم : وطبعاً الباشا و حضرتك قاعدين تتكلموا وسايبة الشغل
- بسمة : يا دكتور والله إنت مكبر الموضوع ... الساعة لسه ستة وربع أنا مكملتش نص ساعة هنا
- سليمان : ده لسه الشاي مبردش يابني



- حازم : فيه إيه يا عاصم ؟ مفيش داعي للثورة دي كلها
- عاصم : يعني خلاص أنا اللي مجنون وكلكم عاقلين ... ماشي ماشي خليكم قاعدين ... أنا سايبها لكم و ماشي ... اتفضلتي ارتاحي يا دكتورة ... خد راحتك يا حازم البيت بيتك ... هات لهم عشاء يا عم سليمان ...
- أنا ماشي

خرج عاصم وسط دهشتنا و ذهولنا جميعاً من رد فعله الغريب ، أحس حازم بالحرج الذي سببه لي واعتذر لي بشدة وخرج يجري خلف أخيه ليحاول تهدئته ومعرف سر عصبيته الزائدة ، وبحنان الأب نظر إلى عم سليمان قائلاً :

- متاخدش على خاطر ك يا بنتي ... عاصم عصبتي شوية بس بيروق بسرعة ... أنا أكثر واحد عارفه
- أنا اتصدمت فيه يا عم سليمان ... كنت فاكراه أعقل من كدة ... هو حصل إيه أصلاً
- معلىش يا بنتي ... هو بس عارف إن أخوه لعبي حبتين ... يمكن خاف عليك منه
- خاف عليا ؟ ... بالشكل ده ؟ ... لا متشكرين ... بناقص
- روقي يا دكتورة ... ركزي في نفسك وشغلك ... أنا قاعد برة ولو احتاجتي حاجة رني الجرس
- أوك يا عم سليمان
- حقك عليا أنا يا بنتي
- وانت ذنبك إيه بس ... اتفضل يا عم سليمان

انصرف عم سليمان ، وتركني وسط حيرتي و ذهولي ومخاوفي التي زادت  
بعد ثورة الدكتور عاصم غير المبررة ، أكملت يومي في مكتب الدكتور  
عاصم ، استقبلت أربع حالات في جلسات روتينية عادية جاهدت نفسي  
خلالها لأبدو هادئة مبتسمة ، وانتهى اليوم أنا لا زلت أحاول الإجابة على  
العديد من الأسئلة التي تراودني منذ الرابعة عصراً في النادي وحتى آخر  
اليوم .

الثلاثاء ١٦ مارس ٢٠١٠ الساعة ٥:٤٥ مساءً

ليلي وشيرين

بعد موقعة يوم الخميس الماضي ذهبت إلى العيادة يوم الأحد ، يوم عادي جداً ، الدكتور عاصم يستقبل الحالة تلو الأخرى ، وأنا مشغولة في إعادة ترتيب بعض الملفات وتدوين الملاحظات ، جلست أغلب الوقت في إحدى القاعات الفرعية بالعيادة ، لاحظت عم سليمان أنني لا أتحدث كثيراً مع الدكتور عاصم ، وبخبرة السنين حاول أن يخبرني أن الدكتور عاصم شخصية عملية جداً ويغار على عمله بشكل كبير ، كان يعلم أنني قد صدمت من رد فعل عاصم تجاه وجود أخيه معي في مكتبه ، ولكنه حاول أن يطيب خاطري ولو بكلمة وأخرى ، العجيب في الأمر أن الدكتور عاصم طوال اليوم كان يتعامل معي بشئ من الرسمية ولم يكلف نفسه عناء الحديث معي أو على الأقل شرح أسباب غضبه وثورته ، فكرت في الاعتذار عن الحضور اليوم إلا أنني طردت هذه الفكرة الصبيانية من رأسي ، فمن تفكر في الدكتوراة والعمل والمستقبل ينبغي لها ألا تتصرف كالصبية وتتفعل و "تتقمص" كما يفعلون .

في تمام السادسة كنا نجلس جميعاً في المكان المخصص لنا ، لاحظت أن الدكتور عاصم يعد كوبين من الشاي وجاء بهما ومد يده إلى بأحد الكوبين وهو يقول بصوت منخفض :

- هفضل مبوزين كدة كثير ؟
- لا أبداً ... ميرسي ع الشاي
- عم سليمان قال لي معلقة واحدة سكر ... صح ولا بيضحك عليا ؟

- لا مضبوط

- فكي بقى عاوزين نشتغل

كانت كل واحدة في مكانها ، ويبدو أنهم قد لاحظن حديثنا الهامس

- نادين : إحم إحم .... إيه ... وانا حصة عربي هتخلص الساعة ٩ ...

ولا إيه ؟

- شيرين : إهدي يا سوسة

- بسمة : هو النهاردة الدور على مين ؟

تبادلت ليلي وشيرين النظرات وفي نفس اللحظة أشارت كل منهما إلى

الآخرى وقالت : هي

- ميار : إحنا نعمل قرعة

- عاصم : لا مفيش قرعة ... الديكتاتورية هي الحل ... مفيش فايده فيكم

... يلا يا شيرين

- شيرين : ليه ليبيبييه ... خلوني آخر واحدة ... أنا أصلاً مش عندي

كلام أقوله

- نادين : يلا يا شيري ... شكة دبوس ... مش هتحسي بحاجة

- ميار : وادينا قدامك أهو زي الفل ... مفيش أي إصابات والحمد لله

- شيرين : معلش معلش أريح شوية أنا جاية جري من المهندسين أصلاً

- ليلي : خلاص يا دكتور ... خليها عليا المرة دي

- عاصم : متأكدة ؟

- ليلي : أيوه بسرعة قبل ما أرجع في كلامي

- بسمه : خلاص اتفضلي اتفضلي ... نورتي المسرح

لحظات من الصمت والترقب قبل أن تأخذ ليلي نفساً عميقاً وتنظر إلى هاتفها لتتأكد أنه صامتاً ثم بدأت :

- ليلي : أنا ليلي أبو المكارم ... مديرة إدارة الموارد البشرية في بي إس بنك ... ماجستير إدارة أعمال ... متزوجة وعندي ولد وبنت ... آه صحيح ... عندي ٤٠ سنة ... ٤٠ مش ٥٠ ... واخدة بالك إنتي ؟  
- ميار : إيه ؟ ... بتهزري طبعاً ... لا إنتي شكلك يدي أكبر بكثير ...  
سوري متزعلش مني

- ليلي : وأزعل ليه ؟ ... أنا عارفة كدة قبل ما تقولي

- شيرين : و ده عشان تعبانة أو بتشتكي من حاجة ؟

- نادين : أنا عارفة السبب

- ليلي : والله ؟ ... كويس ... اتفضلي

- نادين : هو إنتي ليه فاكرة إني بيبي ومعرفش حاجة عن الدنيا ؟ ...

حضرتك بدأت كلامك بالشكل اللي يدينا فكرة عنك ... أنا مديرة ...

وماجستير ... ومتجوزة وأم .. إنتي فين ؟ ... إنتي إيه ؟

- عاصم : إحنا قلنا إيه يا بنات ؟ ... أستاذنكم نأجل الأسئلة لغاية ما مدام

ليلى تخلص

- ليلي : لا عادي يا دكتور ... على فكرة يا نادين إنتي صح ... اللي إنتي

فهمتيه وانت لسه في ثانوي أنا مفهموش إلا متأخر قوي ... منكرش

إني طول حياتي إنسانة متميزة ... أو على الأقل زي ما بيقولوا عليا

كدة ... من الأوائل على فصلي ومدرستي ... بس من صغري مش

مركزة في أي حاجة إلا الدراسة وبس ... أهم حاجة أرفع صباعي  
وأجاب والفصل كله يصقف لي من غير ما آخذ بالي إن كل اللي  
بيصقفولي مليش فيهم أي أصحاب ... وبنفس الدماغ دي كبرت من  
مدرسة لمدرسة لجامعة ... أمي ماتت في امتحانات الثانوية العامة ...  
جبت مجموع قليل ... ومكانش عندي رفاهية إنني أعيد ثانوية عامة  
عشان أدخل الكلية اللي بحبها ... خاصة إنني بعد وفاة والدتي كان  
المفروض إنني أشيل البيت بدالها لأنني أكبر البنات ... دخلت تجارة  
وتفوقت فيها سنة ورا سنة كنت مركزة إنني أبقي معيدة وأعوض اللي  
فاتني ... طلعت الثالثة على دفعتي ... عينوا الستة الأوائل وسابوني ...  
مانا مش عندي واسطة زي الرابع والخامس والسادس اللي أبأؤهم  
أعضاء هيئة تدريس ... مسكتش .. رفعت قضايا على الجامعة ...  
مخدتش حاجة ... كان فيه دكتور يعرفني كويس جداً وعارف الظلم  
اللي اتعرضت له ... جابلي وظيفة في بنك محترم ... قلت خلاص ربنا  
عوضني وأركز بقى في شغلي ... اشتغلت واديت الشغل كل اهتمامي  
... عملت دبلومة في الموارد البشرية ... وسجلت ماجستير وأخذته  
بتقدير امتياز ... في الأثناء دي واحد زميلي اتقدم لي ... إنسان كويس  
ومحترم وناجح ... مكانش فيه سبب مقنع إنني أرفضه ... قلت أتجوزه  
والعشرة هتخليني أقرب منه وأحبه ... بصراحة هو كان يعتبر حلم  
لبنات كثير ... وسيم ودمه خفيف ... بيحب الخروجات والفسح  
والرياضة ... بيطلع رحلات في الصحراء ويقعد أيام في مركب  
بيصطاد مع أصحابه ... في مرة بقول له لما إنت غاوي جري وتنظيف

- كدة اتجوزتتي ليه ؟ ... قال لي : كنت شايفك حد في حاله قوي ومحترم  
ملوش في الهزار مع كل من هب و دب ... قلت يمكن لما تعرفيني  
كويس وتحبيني تتغيري وتفكي شوية ... لكن للأسف مقدرتش أغيرك
- ميار : بينام معاكي ؟
- ليلي : إيه اللي بتقوليه ده ... ده جوزي وأنا مراته
- ميار : أنا سألتك سؤال ... وإنتي مجاوبتيش
- عاصم : ميار ... من فضلك
- ليلي : حسام إنسان جميل قوي ويحبني قوي ... أنا عارفة إني ياما  
خففته بس أنا والله بحبه ... مش معنى إني مشغولة عنه إني مش مهتمة  
بيه ... بس يمكن الولاد والشغل والدراسة بياخدوني منه شوية ... بس  
ده بقى العادي في حياتنا كلنا ... ماهو برضه بيخرج مع أصحابه  
وبيسهر ويسافر ولا هو ده حقه لوحده .... هو يعمل اللي هو عاوزه  
وأنا اللي أهتم بدون أي مقابل
- شيرين : يعني إيه مقابل ؟ .... أنا آسفة على قطع كلامك
- ليلي : يعني ليه الحياة متمشيش كدة ؟ ... هو يقوم بدوره وأنا أقوم  
بدوري من غير مايكون لينا طلبات ... ليه لازم أكون طول الوقت  
فرفوشة وبحب الخروج والسهر وأنا أصلاً معنديش وقت لكل ده ؟ ...  
ليه تكون أولوياته غير أولوياتي ؟ ... ولا هو مضايق عشان أنا ناجحة  
أكثر منه واترقيت أسرع منه وعملت ماجستير وشغالة في الدكتوراة  
وهو لسه محلك سر ؟
- نادين : إنتي أكيد مقلتيش الكلام ده له قبل كدة ... ولا قلتي ؟

- ليلي : قلت ... وقلت أكثر من كدة كمان
- بسمة : نعم ؟ ... معقولة ؟
- ليلي : زهقت ... فاض بيا ... مش عاجبه أي حاجة فيا أمال اتجوزني  
ليه ... شافني مختلفة عنه في كل حاجة ارتبط بيا ليه ؟ ... هو فيه حاجة  
اسمها إني أتجوزها وأغيرها ... طب أديك فشلت تغيرها يا فالح ...  
البس بقى ... البس بيت وزوجة وعيال ... البس ... ولا هتهرب زي ما  
بتهرب مع أصحابك ؟
- بسمة : يعني انتي شايقة إن المشكلة في اختياره ليكي ؟
- ليلي : أنا معرفش إيه المشكلة ... أمال أنا جاية هنا ليه ... أنا مرة  
واحدة لقيت نفسي عديت ٤٠ سنة ... شعري بدأ يشيب ... عندي  
الضغط والسكر ... مشاكل كثيرة في الظهر والمفاصل والمعدة ... لو  
شفتوني جنب حسام لا يمكن تقولوا إني مراته لأنني شكلي أكبر منه  
بكثير وهو في الحقيقة أكبر مني بخمس سنين ... يمكن أنا من صغري  
سجنت نفسي ورا أسوار الروتين ... يمكن شايقة إن كل اللي حواليا  
فوضويين ولازم الدنيا تمشي بالساعة ... في الجامعة في البيت في  
الشغل في أي حنة ... معرفش ... والله ما أعرف ... أنا فجأة اكتشفت  
إني مليش أصحاب ... حتى في المناسبات لما حد في الشغل بيتصل بيا  
بكون عارفة ومتأكدة إنه بيتصل بيا عشان أنا مديرتة أو خايف مني ...  
مليش أي علاقات اجتماعية ... حتى علاقتي بأهلي وجيراني سلامو  
عليكو صباح الخير ... الإنسان الوحيد اللي حبيته وحبني بقى بيني  
وبينه جبال جليد ... بنتقابل الصبح في الفطار ... وبعد الظهر في الغدا



... كل واحد بينام في أوضة من فترة كبيرة ... هو عايش حياته ...  
والولاد برضه مستمتعين بحياتهم ... الحمد لله أخذوا من باباهم حب  
الحياة ... ولقيتني عايشة لوحدي ... برجع من الشغل أجهز الغدا نتغدى  
وكل واحد يشوف وراه إيه ... وتصبحي على خير يا ماما ... ونصحى  
تاني يوم الصبح ... والنهاردة شبه إمبراح شبه بكرة ... مفيش جديد ...  
حتى لو فيه جديد ... أنا مش حاساه .

- شيرين : يعني إنتي جوزك عمل البدع عشانك ومفيش حجة اتغيرت ...  
هتيجي بعد الوقت ده كله تتغيري ؟

- ليلي : القصة مبقتش بيتي وجوزي ... أنا في الشغل بقيت عصبية جداً  
اكتر من الأول ... ونبهوني اكتر من مرة إنه ده هياثر عليا وظيفياً ...  
لكن أنا مش عارفة أبقى هادية ... كل حاجة باخدها على أعصابي ...  
حاسة إن كل الناس بيتكلموا عليا ... بشوف في عنيهم نظرات مش  
حباها

- ميار : انا شايفة إن انتي المشكلة وانتي الحل ... الموضوع سهل وانتي  
دماغك حلوة

- ليلي : أنا مقلتش إني مشكلتي ملهاش حل ... أنا اللي مش عارفة أفكر  
... بعد العمر ده كله اكتشفت إني امتياز في الدراسة والشغل ... لكن  
صفر حياة صفر اجتماعيات صفر في حاجات كتيرة جداً كنت فاكرة  
إنها مواد مش بتتضاف للمجموع ، وأتاريها هي كل حاجة ... كل  
النجاح ... وكل الفشل .

- نادين : تفكري عندك استعداد للحل بعد العمر ده كله ؟

- ليلي : أمال أنا جاية هنا ليه ... وقاعدة أحكي كل ده ليه ؟ ... أكيد فيه حل ... أكيد ... ولا إيه يا دكتور عاصم ؟ ... فيه حل صح ؟
- عاصم : مفيش مشكلة في الدنيا ملهاش حل يا مدام ليلي ... و ده هيكون دورنا كلنا مع بعض الفترة الجاية ... صدقيني إحنا هنا أسرة واحدة وكل مشاكلنا هنحلها هنا ... أنا مراهن نفسي على إننا هنجح ... والله هنجح وبكرة أفكرك ... أستاذنكم مفيش أسئلة ... انتم أصلاً مش بتسمعوا الكلام وقاعدين تسألوا من الصبح ... هنطلع فاصل ... ونتقابل مع مسك الختام ... المهندسة شيرين
- شيرين : استر يا رب

فترة الراحة بين المحاضرات أو الاجتماعات بالنسبة لنا – نحن النساء – لا تمثل راحة بالمعنى المفهوم اللهم إلا أنها تكون راحة لآذاننا التي كانت تتلقى الكلمات واللزمات ، ونبدأ في إطلاق العنان لألسنتنا المحبوسة طوال هذه الفترة البغيضة بالنسبة لنا ، فما أن انطلقت صافرة الحكم – الدكتور عاصم – معلنة انتهاء الشوط الأول حتى قمنا إلى إعداد مشروباتنا في ثنائيات غير معدة مسبقاً ، وهذه المرة تعمدت أن أكون مع ليلي التي بدت حزينة قليلاً ربما بفعل صندوق الذكريات التي بعثرت محتوياته القليلة أمامنا ، بدأت معها حواراً لطيفاً وتجاوزنا أطراف الحديث

- بسمة : ضحكتي علينا إنتي على فكرة ومقلتيش حاجة
- ليلي : أنا ؟ ... ليه بتقولي كدة ؟

- بسمة : هو إنتي كدة قلتى حاجة عن نفسك ؟ ... هم يادوب عشر دقائق بالكثير قوي ربع ساعة ... مش زي الأختين الحلوين اللي صدعونا المرة اللي فاتت
- ليلي : قصدك على نادين وميار ؟ ... طب هم حياتهم مليانة أحداث و حوارات ... أنا مش كدة ... أنا معنديش أي أكشن
- بسمة : مش قوي كدة ... سوري يعني إنتي عشتي قدهم هم الاتنين مع بعض وأكد تجاربك أكثر منهم
- ليلي : مش بالسن يا بسمة ... عمر التجارب ما كانت بالسن ... البنات أم ٨ سنين اللي بتبيع مناديل في الشارع ممكن يكون عندها تجارب أكثر مني ... الولد اللي عنده ١٢ سنة وسابق توك توك ده عنده خبرات ومسئوليات منعرفش عنها حاجة أنا وأنتي ... الخبرات والتجارب والمخاطر بتيجي بالاحتكاك ... اللي زي بيخافوا من مخاطرها ... بس أكيد بيتحرموا من حلاوتها ... ومش بيعرفوا حاجة عن دروسها
- بسمة : كبير قوي الكلام ده
- ليلي : والله مش كلام ... أنا أغلب مشاكلي في البيت والشغل إني معنديش احتكاك بأغلب أصناف الناس ... عشان كدة مش بقدر أميز بين الخير والشر جواهم وتلاقيني دائماً واخدة موقف عدائي أو متحفز من كل الناس ... عشان محدش يضحك عليا
- بسمة : طب يلا يلا ... الشلة قعدت والدكتور عاصم عمال يبص في ساعته
- ليلي : أوك ... نكمل كلامنا بعدين

أخذ الجميع أماكنهم استعداداً للجولة الرابعة والأخيرة من مهرجان الفضفضة للجميع ، نظرانا جميعاً تتجه إلى شيرين التي حاولت الهرب من عيوننا بالنظر إلى الأرض مرة وإلى السقف والجدران مرة أخرى ، ثم قالت :

- شيرين : اسمي شيرين صبحي ... ٢٨ سنة ... خريجة كلية الفنون التطبيقية قسم أثاث داخلي وديكور ... اتولدت في أسرة صغيرة مكونة من بابا وماما وأنا وأخويا التوأم شريف ... بابا كان مدرس شاطر سافر بدري بدري يشتغل في الخليج واخذنا معاه عشنا عمرنا كله نتنقل من بلد لبلد ... السعودية ، قطر ، العراق ، الكويت ، قطر ثاني ... استقرينا في قطر لغاية ما أخذنا الثانوية العامة أنا وشريف ... بابا كمل في قطر وأنا وماما وشريف رجعنا مصر ... أنا دخلت فنون تطبيقية وشريف دخل تجارة ... حياة هادية جميلة لذيدة ... مستوى كويس وفلوس كتيرة ... كتر تنقلنا من بلد لبلد خلاني أنا وشريف علاقاتنا محدودة قوي ... مع إننا عاشرنا ناس من كل بلد ولون إلا إننا مكناش بنلحق نعمل صداقات طويلة ... كنا توأم في كل حاجة ... الشكل والدماغ حتى اللبس كانت ألواننا و ذوقنا قريب من بعض ... حبيت الرسم من صغري وشريف كان مجنون مزيكا ... لذلك كان طبيعي أقدم في فنون تطبيقية لكن شريف اختار تجارة وقال ساعتها خللي المزيكا بعيد عن الدراسة الشغل ... هواية يعني مش أكثر ... مكملائنا سنة في مصر إلا وكان بابا محصلنا ... بس في تابوت ... واكتشفنا إنه كان عنده مشاكل في القلب والكلى وماما كانت مخبية علينا ... مات بابا

... وماتت معاه حياتنا الهادية الجميلة ... وبدأنا حياة جديدة ... وبدأت  
أصعب أيام حياتي .

أحسست أن كل ما قالته شيرين كان الهدوء الذي يسبق العاصفة ، وبالفعل  
كان إحساسي صادقاً حينما استمعنا لها وهي تكمل قائلة :

- شيرين : في يوم وليلة حسيت إننا من غير سقف ولا حيطان ... مفيش  
حاجة بتحمينا ... عدت أيام وليالي كثيرة لحد ما فقنا من الصدمة ...  
واضطرينا كلنا إننا نكمل حياتنا اللي ربنا اختارها لينا ... لكن بعدما  
حاجات كثيرة اتكسرت جوانا ... استسلمت ماما لقضاء ربنا وقررت  
تقوم بدور الأم والأب ... كان بابا محوش مبلغ كويس للزمن وكان  
عندنا عمارة مأجرين كل شققها و بتدخل لنا دخل كويس ... فكانت  
أمورنا المادية مستقرة إلى حد كبير ... دخلنا سنة تانية جامعة أنا  
وشريف ... عشت جوه نفسي و دراستي ومذاكرتي ومشاريعي ... أما  
شريف فكان له سكة تانية

- ليلي : اتغير ؟

- شيرين : اتبدل حاله ١٨٠ درجة ... شريف كان بيلعب جيتار كويس  
جداً وفي أولى تجارة كان نجم من نجوم الجامعة وأكثر من حد عرض  
عليه إنه يشغله معاه لكن كان بيرفض بحجة إنه ده مش وقته ... لكن  
لما بابا مات حب يعيش دور الراجل اللي بيصرف على نفسه و دي  
كانت البداية

- ميار : مامتك مكنتش معترضة ؟

- شيرين : ماما اعترضت طبعاً وقالت له إنه مش عيب إنه ياخذ مصروف وإن دي فلوسه أصلاً وإنه لازم يخلص دراسته الأول وبعدين يشتغل ... كلمها أكثر من مرة وقال لها إن وقته كبير وإن الشغل هيديه خبرة أكثر ويمكن تبقى دي حياته ومستقبله بعد التخرج ... بعد إلحاح ماما اقتنعت ... بدأ شريف يشتغل في فرقة ... ويروح يسجل في استديوهات ... طبعاً التسجيل طول الليل ويرجع ينام طول النهار وميروحش الجامعة ... ومن الاستديوهات للكازينوهات للملاهي الليلية والكباريهات ... وطبعاً السهر والعيشة في الجو ده بيعلم كل حاجة مهما كانت أخلاقك وتربيتك قليل قوي اللي بيقدر يصمد ... بدأ سكة المخدرات من أولها ... سيجارة شيشة ... بانجو حشيش ... حقن وترامادول لحد ما وصل للهيرويين

- بسمة : وإنتم كنتم فين وهو بيتغير كدة ؟ أكيد ده محصلش بين يوم وليلة

- شيرين : كل حاجة ممكن تتعمل عملناها ... لكن ولا حياة لمن تنادي ... في شهور قليلة كل رصيده في البنك خلص ... مع إنه كان بيشتغل كثير وبيجيله فلوس كثيرة ... لكن الإدمان خلاه كلب مسعور ... ممكن يعمل فينا أي حاجة عشان تذكرة هيرويين ياخذها في معادها ... كان بيعد بالأيام والأسابيع منعرفش عنه حاجة وفجأة نلاقه داخل في نص الليل زي الشبح عمال يقلب في البيت كله ... ياكل حاجة يشرب حاجة يسرق حاجة وينزل ثاني ... لحد ما كنا في سنة رابعة و مرة واحدة لقينا البوليس جاي بيدور عليه وبيقولنا إنه شريف وتلاتة أصحابه



- شيرين : من وقت للتاني ببيكلمنا ... هو بيقول إنه سافر بعد صاحبهم اللي مات ده وقعد مع ناس أردنيين أصحابه من أيام ما كنا في قطر وعاشين دلوقتي في إيطاليا ... وقال كمان إنه اتعالج من الإدمان وبقي كويس وببشتغل ... وقريب هيتجوز كمان وحاجة زي الفل
- عاصم : مش كفاية شريف بقى وتكلمينا شوية عن شيرين ؟
- شيرين : مانت عارف اللي فيها يا دكتور ... مانا لازم أحكي عن شريف عشان تفهموا بعد كدة شيرين
- عاصم : أكيد
- شيرين : أكيد بعد اللي حصل أنا وماما اتطمنا على شريف ... لكن بعد ما كنت عشت خمس سنين كرهوني في حاجات كتيرة قوي ... اتخرجت من الجامعة ... قعدت شوية في البيت ... كنت مقيمة على النت ... ولا زلت بصراحة ... بعد فترة من القعدة اشتغلت في شركة أثاثات مودرن ... اتقدم لي جارنا كريم ... مكنتش أعرفه كويس إلا إن مامته كانت علاقتها كويسة بماما ... وعاشوا معانا أصعب فترات حياتنا وعارفين عننا كل حاجة ... بعد فترة خطوبة قصيرة اتجوزنا في شقته بنفس العمارة اللي احنا فيها ... و دي حاجة كانت مريحاني جداً خصوصاً إنني هكون قريبة جداً من ماما .
- ميار : مامتك بس ؟ مانتي بقيتي جنب مامته هو كمان يا فالحة ؟
- شيرين "ضاحكة" : مش كنتي تقولي من بدري ... يلا اللي حصل حصل بقى
- نادين : إيه عملتك إيه الست دي ؟ ... قولي بس وإحنا نظبطهالك



- شيرين : مامت كريم كانت ست حشرية ومتسلطة قوي وهو مش بيحب يزعلها ولا يكسر لها كلمة ... فكانت النتيجة الطبيعية إنه الكلام ده يبجي على حسابي ... سبت الشغل وإحنا لسه مخطوبين لما كريم أقنعني إنه ده في صالحني ولمصلحة بيتنا ... شفت فيه الإنسان المهذب اللي هيخاف عليا ويكرمني أنا وماما بعد البهدلة اللي عشناها من ساعة وفاة بابا ... واتجوزنا ... وفي ليلة العمر بعدما اتقل علينا باب وبقينا لوحدنا لأول مرة ... انهار كريم وبكى واعترف لي إنه عاجز جنسياً
- ميار : يابن الكلب ... ولما هو متنيل على عينه كان بيرتبط بيكي ليه من أصله
- شيرين : فضل بيكي ويبيكي زي الأطفال الصغيرين ... وحلفني إني مفضحوش خاصة قدام مامتي ومامته وإنه بيحبني وهيعوضني عن كل حاجة ... صعب عليا جداً مع إنه خدعني وكذب عليا ... وحسيت إني مينفعلش أفضحني وإني لازم اصبر وأرضى بقسمتي لحد ما ربنا يفرجها من عنده
- ليلي : اسمحيلي يعني أنا مش معاكي خالص في النقطة دي ... انتي لسه في بداية حياتك ليه تربطي مصيرك بمصير واحد غشاش زي ده ؟
- شيرين : رضيت بالأمر الواقع ... وقلت أنا وكريم نعيش لبعض ... وفضلت أحاول أدور على حل أو علاج ليه مدة طويلة ... وفعلاً جربنا أكثر من حد ... وسافرنا مرة واثنين ... طبعاً الناس كانوا بيفتكروننا بنسافر نتفصح ... ومحدثش فيهم يعرف الحقيقة

- بسمة : وفضلتم كدة كثير
- شيرين : ثلاث سنين بالظبط ... ومن أول شهر فيهم مامته بتقعد تسأله ... مفيش حاجة جاية في السكة ؟ ... إيه الأخبار ؟ ... لازم تكشف على مراتك ... وكلام الحموات ده ... ولما ماما كانت تسألني كنت أقولها لسه بدرس وكله بأوانه ... كريم كان بيبقى هيموت كل مرة بيتسأل فيها وكان مقدر قوي إني باخد أسئلتهم بهزار مهما كانت بتوجع ومهما كان فيها اتهام ليا أنا شخصياً ... في الفترة دي طباعه اتغيرت ... بقى عصبي شوية ... بيقعد برة البيت كثير ... بيزعق ويمد إيده كمان ... لحد ما في مرة بعد رحلة علاج من رحلاتنا اتقال له حرفياً إنه خلاص بقى زي الفل وإن المعجزة اتحققت ... كنت طائرة من الفرحة يومها وهو كان بيتنطط ... حضني كثير قوي وكأنه أول مرة في حياته يحضني ... باسني في وسط المستشفى وباس إيديا وراسي ورجلي ... مرجعناش على مصر وفضلنا قاعدين هناك أسبوعين لفينا أوروبا وعملنا شهر عسل كان متأجل طوال ٣ سنين .
- ليلى : الحمد لله ربنا عوض صبرك خير
- شيرين : كنت فاكرة كدة زيك بالظبط ... رجعنا مصر وقبل ما نكمل أسبوع اكتشفت على موبايله محادثات مع واحدة يعرفها من سنين ... قعدت أقلب فيها لقيته بيشتكي لها مني ومن إهمالي ليه ... والمصيبة إنه كان لسه باعتلها وإحنا هناك وبيوعدها بالجواز
- نادين : انا ماسكة نفسي بالعافية ... أستم يا دكتور ؟ ... أستم ؟

- عاصم : لا أنا سبقتك ... عملت الواجب و زيادة أول ما عرفت اللي حصل
- شيرين : واجهته بالرسائل ... اتصدم ... معرفش يرد ... قتلته دي مكافأة التلات سنين اللي فاتوا ؟ ... دي الهدية اللي هتقدمهالي ؟ ...
- حس بغلطته واعترف لي إنه قعد فترة كبيرة متلخبط ومش طبيعي ...
- حلف لي إنه هيقطع علاقته بيها نهائياً ... لكن خلاص أنا بالفعل كان فاض بيا ... طلبت الطلاق ... قال لي طب خدي فرصة تفكري قتلته لا أنا قررت خلاص ... وبالفعل تم الطلاق بمنتهى الهدوء واتفقنا نقول لأهلنا إنه مفيش نصيب من غير أي تفاصيل ... ومن يومها وهو بيحاول إنه يرجعني تاني ولسه عنده أمل ... بيتصل بيا كثير وبيبعثلي رسائل شبه يومية ... لكن أنا خلاص فقدت الثقة فيه وفي نفسي وفي كل حاجة حواليا ... قعدت في البيت وعشت بين الفضائيات والمنتديات والفيسبوك ... واحدة صاحبتني أو نقدر نقول صاحبتني الوحيدة عرضت عليا أخرج من الكآبة دي وأشتغل وأبدأ من جديد ... مكانش ليا نفس أو استعداد للشغل ... سمعت عن جمعية خيرية مشهورة طالبة متطوعين ومتطوعات ... رحلت قدمت من سنة ... وجربت عالم جديد جميل نظيف فيه ناس بتحب تعمل حاجة حلوة بدون مقابل ... بقيت أروح دور مسنين وأيتام ... مستشفيات ومدارس ... مساعدات هنا وهناك ...
- نعمل رحلة ... حفلة ... ناطر صايمين ... عالم جميل مكنتش أعرف عنه حاجة ... بس كل ده مقدرش يخليني أتعود أثق في أي حد حواليا

- مهما كان كويس ... ومقدرش يرجع ثقتي بنفسي ... و دي كانت حكاية  
شيرين ... نرجو أن نكون قد أسعدناكم ... وإلى اللقاء .
- نادين : بصراحة إنتي فاجئتيني ... كل ده مخيباه وساكتة ؟
- شيرين : الحمد لله ... والدنيا ماشية وإحنا ماشيين معاها
- ليلي : ربنا يكرمك يا شيرين ... ويوففك في اللي جاي ... حلوة الدنيا  
اللي إنتي ماشية فيها دي من زمان نفسي أجربها ... وقريب قوي  
هكلمك وأجي أخوض التجربة
- شيرين : إنتي تتورينا ... وبجد هتنبسطي وهتفرق معاكي قوي
- عاصم : طيب ... أنا شايف إنه إحنا نكتفي بهذا القدر النهاردة ... وجبة  
دسمة جداً اتعرفنا فيها على شخصيتين أجمل من بعض ... والفترة  
الجاية هيكون لهم دور كبيرة في عيلتنا الصغيرة دي ... حد حابب  
يقول لنا حاجة قبل ما ننهي ؟
- ميار : لا تمام قوي كدة
- نادين : أنا برضه معنديش حاجة ولا أسئلة
- عاصم : يبقى أوك نشوفكم على خير في نفس الزمان والمكان إن شاء  
الله ... استني إنتي يا بسمة متمشيش ... ربع ساعة بالظبط هنرتب فيها  
شوية حاجات
- بسمة : أوك يا دكتور ... مفيش مشكلة لسه الوقت معانا
- عاصم : تمام ... شكراً ليكم كلكم ... معادنا التلات الجاي ... وبرضه  
بنأكد أي حد حابب يشرفني في أي وقت يتفضل ... المكان مكانكم ...  
وتحت أمركم دائماً

انصرف الجميع في هدوء ... واتجهت مع الدكتور عاصم إلى مكتبه ... دخلنا  
المكتب ... سبقني بعدة خطوات واتجه إلى مكتبه وفتح أحد أدراجة وأخرج  
منه علبة أنيقة وأعطاني إياها مبتسماً

- و دي بقى عشان زعلتك المرة اللي فاتت ومشيتي وإنتي مقموصة
- إيه ده ؟
- دي هدية بمناسبة شم النسيم كل سنة وإنتي طيبة
- هدية ؟ شم النسيم ؟
- خلاص بقى متبقيش غلسة وتحرجيني أكثر مانا محرج ... أنا بعذرلك  
يا ستي على اللي عملته وقتله المرة اللي فاتت ... وأوعدك أنها أول  
وآخر مرة ... ومتاخدش على كدة ... مش كل شوية بقى تتقمصي  
عشان أصالحك بهدية
- إنت غريب جداً على فكرة
- غريب إزاي يعني ؟
- هادي جداً وعصبي بشكل مبالغ فيه ... بتعشق شغلك وتقريباً يومك كله  
في العيادة وبرضه أسرتك أهم حاجة في حياتك ... واضح قوي  
وغامض جداً ... حاسة إنك بتعيش مع الحالات بتاعتك وكأنهم متربيين  
معاك ... وبرضه مش فاهمة دماغك ... أنا لحد دلوقتي مش عارفة  
على أي أساس اخترت الأربعة دول من بين أكثر من ٣٠٠ حالة  
موجودين مع حضرتك ... إيه الرابط اللي بينهم ؟ ... أو عاوز توصل  
لهم إيه من خلال بعض ؟ ... كنت حاسة إنني فاهمك قوي لكن كل يوم  
بكتشف إنني مش فاهمة أي حاجة

- وإنتي ليه معقداها قوي كدة ؟ ... الحكاية أبسط مما تتخيلي ...  
وصدقيني هتعرفي كل حاجة في وقتها
- إن شاء الله ... إن شاء الله
- كل اللي أقدر أقولها لك متستعجليش على حاجة ... اطمني ... إنتي  
مستقبل المكان ده يا بسمة ... أنا حاطط ثقة كبيرة عليك ... أرجوكي  
متخالينيش

دائماً نبرة صوت عاصم بها شئ مختلف يجعلك تتعاطف معه وتستجيب له  
وتنفذ له ما يريد بمنتهى القناعة والرضا ، وبالفعل اقتنعت بكلامه و شكرته  
على هديته الثمينة التي كانت عبارة عن قلم ذهبي أنيق ، عرض علي أن  
يوصلني إلا أنني كنت بحاجة إلى المشي بمفردي قليلاً .

الثلاثاء ١٥ يونيو ٢٠١٠ الساعة ٥ مساء

أمن دولة

خلال أقل من ثلاثة شهور بعد تشكيل مجموعة "العائلة" كما يحب دكتور عاصم أن يسميها استطعنا أن نشكل فريقاً متناعماً بشكل فاق أحلامي وتوقعاتي ، أصبحنا جميعاً نتبادل الاتصالات والرسائل بشكل يومي ، ذابت كل الفوارق السنية والاجتماعية فيما بيننا ، استطاع عاصم بأقل مجهود أن يجعل الأربعة وحدة واحدة كل منهم يبادل الآخر نفس الحب والاحترام والثقة والاهتمام ، فكنا نتقابل خارج العيادة في أوقات مختلفة من الأسبوع ، نتناول الغداء في مركب على النيل ، أو نذهب إلى السينما سوياً ، فهمت لماذا حرص الدكتور عاصم على وجودي داخل المجموعة منذ بدايتها ، لأنه كان يعتقد أن هذه اللقاءات والخروجات "نسائية جداً" بحسب قوله ، وأنه يريد لنا أن نكون أكثر حرية دون التقيد بوجود رجل في خريف العمر .

وخلال هذه الفترة استطعت أن أكون فكرة شاملة عن كل صغيرة وكبيرة في العيادة ، كنت نعم العون للدكتور عاصم في جمع المعلومات وترتيبها ، حضور جلسات العلاج الجمعي التي بدأ ينظمها لمجموعات أخرى ، أعجبه أسلوبه وحبى الشديد لعمله ، مما زاد من ثقته بي وأثبت له حسن اختياره لي منذ البداية ، اقتربت من عاصم كثيراً مع مراعاة الخطوط الحمراء التي يفرضها على نفسه والمحيطين به ، وكان أكبر اختراق لهذه الخطوط مناداته إياي باسم "دكتور بوسي" حينما نكون على انفراد ، وكان لها مذاق خاص

بالنسبة لي خاصة عندما بدأت أشعر أنه يبادلني نفس الإعجاب ، وأنني بالنسبة له أكثر من مجرد "دكتور بوسي" .

وفي أحد الأيام وبينما أنا وعاصم في المكتب منهمكين في مناقشة عدد من النقاط قبل اجتماع "العيلة" إذا بصوت عدد من الأشخاص يتحاورون بغلظة مع عم سليمان ، انتبه الدكتور عاصم سريعاً ونادى على عم سليمان

- عم سليمان ... فيه إيه عندك ؟ ... إيه الدوشة دي ؟

وقبل أن يكمل جملته اندفع داخل المكتب ستة أشخاص ضخام الأجسام قساة الملامح ، تجمعهم جميعاً عدد من الصفات الجسدية بخلاف الطول الفارع والتكوين العضلي الواضح ، حيث اتسموا جميعاً بالهالات السوداء التي تصاحب أهل السهر والشفاه السوداء التي تنم عن شراهة التدخين بالإضافة إلى الشوارب الغليظة المميزة لهذه الفئة من الناس ، بعد دخول الستة دخل وراءهم شاب يبدو مختلفاً تماماً عنهم من حيث الملابس والشكل ، ومع أنه جلياً انه يصغرهم بسنوات إلا أنه كان واضحاً أيضاً أنهم جميعاً يأتُمرون بأمره ، ظل الستة واقفون في أماكنهم كالتماثيل المنحوتة الموزعة في أنحاء المكتب ، أما هو فقد سحب مقعداً بهدوء وجلس واضعاً قدمه اليمنى على اليسرى وأشعل سيجارته بكل هدوء وثقة ثم قال :

- إنت عاصم النجار ؟

- اسمي الدكتور عاصم عبد الحميد النجار ... إنت مين بقى ؟

- رد على أسئلة الباشا واتكتم لحد ما يأذن لك ... فاهم ؟ "قالها أحد الستة

بصوته الجهوري"



- باشا ؟ ... آه فهمت ... طب تمام ... تحت أمركم ... خير
- حاجة صغيرة هناخدها في خمس دقائق وهنزل على طول
- حاجة ؟ ... حاجة إيه ؟
- نسخة ... نسخة من ملفات الحالات اللي عندك وياريت لو تحطهالنا على سي دي بدل ما نقعد نشيل ونحط ونصور ونص الورق يضيع ...  
و ده شغلك مش عاوزين نلخبطهولك
- بس اللي حضرتك بتطلبه ده مستحيل ... أنا دكتور ... و دول المرضى بتوعي ... و دي أسرارهم الشخصية اللي القانون بيحميها
- قانون مين يلا ... أنا القانون ... واللي عاوزه هاخده ... بمزاجك أو غصب عنك ... فخليها بمزاجك أحسن
- يلا ؟ ... ممكن أعرف حضرتك مين بالظبط ؟
- آه ممكن ... قوي قوي ... معاك الرائد أدهم ... من مباحث أمن الدولة
- ومباحث أمن الدولة عاوزة مني أنا إيه ؟ ... أنا لا من أرباب السوابق ولا ليا أي نشاط يذكر
- إنت بترغي كتير ليه ؟ ... قلتك عاوزة الملفات اللي عندك ... اخلص بقى ورانا شغل

هنا دخل عم سليمان محاولاً إنقاذ الموقف ، ومنبهاً عاصم أن "العيلة" في غرفة الاجتماعات في انتظار بدأ الجلسة

- سليمان : لا مؤاخذه يا دكتور ... الناس في غرفة الاجتماعات منتظرين حضرتك ... أقول لهم إيه ؟
- عاصم : قل لهم بيدأوا ياعم سليمان ... ربع ساعة وهكون معاهم

- أدهم : واثق من نفسك قوي ... على فكرة لو مش هتتعاون معانا  
هنضطر نلجأ لأساليب أنا شخصياً بحبها جداً ...

- عاصم : للأسف كان نفسي أساعدكم ... بس مش هقدر ... شوف  
البهوات يشربوا إيه يا عم سليمان ... شرفتونا ... بعد إذنكم مضطر  
أنسحب عشان عندي شغل

- أدهم "بأعلى صوت" : شغل مين يلا ؟ ... أنا اللي أقول مين يقعد ومين  
يمشي ... مسروع على إيه ؟ وإيه حكاية الاجتماع ده كمان ؟ ... تعالى  
بقي فرجني على اجتماعاتك عشان أعرفك مقامك قصادهم

- عاصم : من فضلك كفاية تجاوزات لحد كدة ... أنا دكتور محترم  
والعيادة دي ليها سمعتها

- أدهم "موجهاً كلامه إلى رجاله" : هاتولي الدكتور المحترم والحلوة  
اللي معاه وحصلوني ... فين الاجتماع ده ؟

كنت في حالة ذهول تام ، لم أرى مثل هذه المواقف إلا في أفلام السينما ، لا  
أعلم ماذا يحدث ، وليست عندي المقدرة على التنبؤ بما سيحدث في الدقيقة  
التالية ، أمسك بي اثنان من رجال أدهم وأمسك آخرا بالدكتور عاصم  
وقادونا إلى غرفة الاجتماعات حيث كانت "العائلة" تنتظر ، فتح أحد رجال  
أدهم الباب ودخلنا جميعاً وسط دهشة و ذهول ليلي وشيرين وميار ، حيث لم  
تكن نادين قد أتت بعد

- أدهم : الله الله ... إيه الاجتماع الحريمي ده ؟ ... ده إنت طلعت بتاع  
نسوان بقى

- ليلي : إيه ؟ نسوان ؟ مين ده يا دكتور عاصم ؟ و إزاي بيتكلم معنا كدة ؟

- أدهم : بس يا ست إنتي لما اديكي الإذن تبقي تتكلمي

- عاصم : أدهم بيه اللي بتعمله ده عيب وميصحش وغير قانوني

- أدهم : ممكن تسهلها على نفسك وتسهلها علينا ، ولا عاجبك منظر ك الزبالة قدام النسوان بتوعك

- عاصم : وأنا قلتك اللي عندي

- أدهم : حلو ... حلو قوي ... يبقى إنت اللي اخترت

أخذ أدهم جولة خلال غرفة الاجتماعات مختالاً بخطوته وسلاحه الميري الذي يمسكه ، دار حولنا كأكثر الكلاب البوليسية تدريباً ، اقترب من كل واحدة فينا على حدة ، تفحص أجسادنا بعينيه وأنفه ثم عاد إلى منتصف الغرفة و واجهنا جميعاً وكأنه يمثل مشهداً في مسرحية .

- أدهم : بصوا بقى ... باختصار شديد جداً إحنا أمن دولة ... علوزين

حاجة من الدكتور عاصم وهو مش راضي يديهالنا ... ومصمم على

كدة ... قدامكم حل من اتنين ... يا إما يسمع الكلام يا إما هنقلعكم كلكم

وننزلكم الشارع عريانين ونعمل لكم أحلى زفة و نلبسكم قضية آداب

زي اللوز ... ها ... قلتم إيه ؟

كانت كلماته وأسلوبه كفيلة بانهيار أكثر النساء قوة ، مجرد تخيل المنظر الذي نحن مقبلون عليه يجعلنا جميعاً نشعر بالغثيان كأقل رد فعل يمكن تصوره ، صرخنا من الرعب ، واستمتع أدهم ورجاله بنظرات الرعب في

عيوننا ، أخرج أدهم هاتفه المحمول وأجرى اتصالاً هاتفياً ليمعن في قهرنا  
وحصار عاصم نفسياً .

- أيوه يا أشرف بيه ... عندي ليك قضية آداب طازة ... دكتور يا سيدي  
فاتح عيادة و مدورها دعارة ... ولقينا عنده شوية نسوان كسر كدة  
عاوزين نعمل لهم حفلة ونكشف عليهم آداب ... آه أربع نسوان أعمار  
مختلفة ... هات معاك كام ملاية عشان نستترهم برضه حرام عشان  
الفضايح ... وهاتلي كام عيل من الشارع وانت جاي عشان مش هينفع  
القضية تبقى نسوان بس من غير رجالة ... "وأطلق ضحكة عالية" ...  
قديم إنت يا أشرف بيه ... يلا مستنيك متتأخرش

كان الجميع يتوسل من أجل أن ينتهي ذلك الكابوس ، و لا يزال عاصم  
مصمماً على موقفه ، ولاحظ أنني على وشك الانهيار وإعطائهم ما يطلبون ،  
فحاول أن ينقذ الموقف

- عاصم : طب أوك خلاص أنا هديك اللي انت عاوزه بس اديني فرصة  
أجمع لك الحاجة وبكرة أديهالك  
- أدهم : ده انت كمان بتلاعبنا بروح أمك ... "ثم صرخ فينا" ... يلا يا  
مرة يا بنت الكلب انتي وهي ... اللي مش هتقلع بالذوق هخلي الرجالة  
يقلعوها بطريقتهم ... وأظن انتم فاهمين .  
- ليلي "منهارة" : ابوس إيدك أنا زوجة وأم ... اللي حضرتك بتطلبه  
مننا ده حرام ... حرام  
- أدهم : هو اللي منشف دماغه

- ليلي : وأنا لا يمكن أعمل كدة

- أدهم : كدة ؟؟؟ ... طب براحتكم بقى يا رجالة

عند هذه الجملة كنا بالفعل أنا وميار وشيرين بدأنا في خلع ملابسنا بكل مشاعر الذل والخزي والقهر والعار التي يمكن تصورها ، أما ليلي فقد انقض عليها أربعة من رجال أدهم وطرحوها أرضاً وبدأوا في تمزيق ملابسها وسط صراخنا الذي لا يجد من يستجيب له ، وفجأة دخل علينا أحدهم ، وما إن دخل حتى وقف الجميع .

- أدهم : فؤاد باشا ... المتهم رافض يتعاون معنا ... لكن خلاص دقيقة واحدة وهكون مديك تمام

- فؤاد : إيه اللي أنا شايفه ده يا أدهم

- أدهم "متلعثماً" : معاليك قلت عاوز الملفات بأي طريقة ... وأنا اتصرف

- فؤاد : وانت خلاص مبقاش عندك إلا الطرق الوسخة دي ... اتفضل يا حضرة الطابط استتاني تحت انت والبهايم اللي معاك

- أدهم : يا فندم خليني معاك أو حد من الرجالة ... عشان لو حصل حاجة

- فؤاد : حاجة إيه يابني ... انت مش عارف تميز ؟ ... حد في دول ممكن يخطفني مثلاً

- أدهم : يا فندم أنا ...

- فؤاد : قلت اتفضل يا حضرة الرائد ... استتاني تحت ... وحسابي معاك بعدين ... بهائم ... بهائم ولا يعرفوا يتعاملوا مع بني آدمين أبداً

أحسنا أن الكابوس قد انتهى ، بدأنا نللم شتات أنفسنا قبل ملابسنا ، وهنا وقف فؤاد محاولاً إبداء شئ من الأسف والاعتذار .

- فؤاد : انا متأسف يا جماعة على سوء التفاهم اللي حصل
- شيرين : متأسف ؟؟؟ ... يعني إيه متأسف ؟؟؟ بالبساطة دي ؟؟؟
- ليلي : والله العظيم ما هسكت حتى لو فيها موتي
- فؤاد "وقد تبدد قناع الأسف والاعتذار سريعاً" : خلاص .. أنا قتلتمك أنا أسف ... خلصونا بقى ... اتفضل معايا يا دكتور نسيب الهوانم يهدوا شوية ... وابقى ارجع لهم تاني

هم عاصم بالخروج معه وتبعه فؤاد الذي وقف على باب الغرفة واستدار لنا وقال :

- مين فيكم بسمة ؟

وكان صاعقة نزلت من السماء فأصابت لساني الذي عجز عن الرد ، وبصعوبة بالغة رفعت يدي اليمنى كي يعرف أنني أنا صاحبة الاسم ، فابتسم وقال :

- ياريت تتفضلي معانا ... ده بعد إذنك يعني

تركت الغرفة وسرت وراءهم أجر قدماي ، لا أعلم ما المصير الذي ينتظرني ولا أعلم كيف لهذا الغريب أن يعرف اسمي دون شكلي ، وفي مكتب الدكتور عاصم كنت أجلس على الأنتريه أنا وعاصم ... وثالثنا فؤاد .

- فؤاد : بكرر اعتذارى على اللى حصل يا دكتور وأرجو إنك تتفهم  
موقفى

- عاصم : اعتذارك وموقفك ؟ هو أنا أعرفك عشان أعرف اعتذارك  
وموقفك

- فؤاد : عندك حق ... ماشى ... أنا العميد فؤاد مروان ... والد ... نادين  
فؤاد مروان

لا أعلم هل كان تأثير الصدمة أم تأثير الجرعة الأمنية القاسية التي تعرضنا  
لها ، ولكن ما أعرفه أنه بعد لحظة واحدة من نطق اسمه ... فقدت الوعي  
تماماً .

بعد مرور لحظات أو دقائق – لا أعلم تحديداً كام كانت هذه الفترة – وجدتي  
ممددة على الكنبه و عاصم يضمني إليه ممسكاً لرأسي بيسراه ويحاول إفاقتي  
بزجاجة عطره بيده الأخرى ، كانت تلك أول مرة أقترب من عاصم إلى هذا  
الحد ، أحسست أنني في حلم جميل أخرجني منه صوت هذا الكائن المسمى  
فؤاد .

- فؤاد : اجمدي يا دكتورة ... خضتينا عليكى

- عاصم : حمدالله ع السلامة يا بسمة

- بسمة : الله يسلمك

- فؤاد : خلصونا بقى فى يومكم ده

- بسمة : إنت عاوز منا إيه ؟ ... وعرفتنا إزاي ؟

- فؤاد : السؤال الثاني ده ميتسألش لواحد في مكاني ورتبتي ... أنا أسهل حاجة عندي المعلومة ... أما سؤالك الأولاني أنا هجاوبك باختصار ... أنا عاوز الملف بتاع نادين ... كل كلمة قالتها ... كل الناس اللي اتعرفت عليهم هنا من أول حارس العمارة لغاية أي حد قال لها في يوم مساء الخير .

- عاصم : ممكن أعرف ليه

- فؤاد : إنت عارف معناه إيه إن واحد زيي داخل على منصب حساس في الدولة ويتعرف إن له بنت بتتعالج عند دكتور نفسي ؟ ... أنا مش عاوز أتدخل في تفاصيل شغلك ولا يهمني هي قالت إيه عنها وعنا ... كل اللي يهمني إن المعلومات دي متوصلش للناس الغلط ... ونقل الصفحة دي وتنسوها وتنساكم

- عاصم : الناس الغلط ؟

- فؤاد : أبوه الناس اللي عاوزة تهدم الدولة وتضرب رموزها الوطنية وقيادتها

- بسمه : إنت مصدق نفسك ؟

- فؤاد " وقد هب واقفاً " : نعم ؟

- عاصم : ثواني يا بسمه لو سمحتي

- بسمه : ثواني إيه وبتاع إيه ... هو عشان يحمي نفسه وبنته يقوم يعمل فينا كدة ؟

- عاصم : بسمه من فضلك اهدي شوية ؟



- بسمة : اهدى ؟ ... بتقولي اهدى ؟ ... إنت نسيت كان هيحصل فينا إيه من دقائق ؟ مستوعب الفضايح اللي كانت هتطاردنا طول حياتنا بسبب حنة عيلة مش متربية حشاشة مستهتره أبوها مش قادر يبقى راجل مع مراته و عياله وجاي يتشطر علينا إحنا .
- لا أعلم كيف وصلت بي الجرأة كي أقول هذا الكلام ، كنت أتحدث دون قيد ، أنظر إلي عينيه ، أجده بكلماتي ، أصب عليه غضبي صباً ، وفجأة جلس فؤاد ثانية وقد تحول الوحش بداخله إلى إنسان ضعيف منكسر .
- فؤاد : حشاشة ؟ ... نادين ؟ ... بنتي ؟ ... إنتي أكيد بتكدي ... إنتي كدابة
- بسمة : مش عامل فيها أبو العريف و عارف كل كبيرة وصغيرة ؟
- فؤاد "منهاراً" : كفاية ... كفاية أرجوكي
- بسمة : لا مش كفاية ... بدل مانت خايف على اسمك ومنصبك و عامل فيها شمشون الجبار ، روح لم لحمك الأول
- عاصم "وقد لاحظ انهيار فؤاد" : خلاص يا بسمة ... كفاية كدة
- فؤاد : هي نادين قالت لكم عني إيه ؟
- عاصم : ده اللي يهملك ؟ ... قالت إيه ؟ ... مش مكسوف من نفسك وانت ليل نهار شاغل نفسك بالدولة والنظام اللي بتقول إنك بتحميهم و مش عارف تحمي أهلك وبيتك ؟
- بسمة : البننت حياتها ادمرت ... وانت ناسي إنك أب وليها عليك حقوق

كان فؤاد جالساً ممسكاً رأسه بكلتا يديه وفجأة نظر إلينا رافعاً حاجبيه وقهقهه ضاحكاً وبدأ يصفق ويضرب الأرض بقدميه ثم أشار إلينا وقال متهكماً

- فؤاد : والله برافو عليكم أنت الاتنين ... والله كنت هصدقكم ... لا لا لا
- إنتي تسبيك من الشغلانة دي وتطلعي من هنا على الحاج أحمد السبكي على طول وهو هيكتشفك ... تحبي أكلمهولك ؟
- بسمة : إنت لا يمكن تكون بني آدم
- عاصم : انت فاكرنا عاملين عليك فيلم ؟
- فؤاد : وليه لأ ؟ وليه متكونش بتعمل عليها شغل ومجندها بدون ما تشعر عشان تجيبك أسراري وأخباري ؟
- عاصم : أخبارك وأسرارك ؟ أنا كل اللي يهمني مصلحة البنت ومستقبلها
- فؤاد "غاضباً" : مش شغلك ... أنا اللي أقول فين مصلحة بنتي وإيه اللي يضرها ... ولمصلحتك إنك تبعد عنها خالص اليومين دول ... وعلى العموم إنت مش هتشوفها تاني لحد ما أشوف حكايتها إيه ... وإن طلعت حكايتكم دي تمثيلية ... أنا مش هرحمكم
- عاصم : ليه ؟ ... إنت ناوي على إيه ؟
- فؤاد : نادين وأمها محبوسين في البيت دلوقتي ... تقدر تقول كدة عامل لهم تحديد إقامة
- عاصم : إيه ؟
- بسمة : دكتور عاصم ... هو مش متخيل نادين ممكن تعمل إيه ... فهمه

- فؤاد : متقدرش تعمل حاجة ... أنا قبل ماجي هنا حبستهم في البيت  
وعينت عليهم حراسة ومفيش معاهم لا نت ولا موبايل ولا أي وسيلة  
اتصال بالعالم الخارجي

هنا يرن المحمول الخاص بفؤاد ، فينظر إليه بشئ من القلق ثم يرد

- فؤاد : أيوه يا جمال ... اتكلم بالراحة مش فاهم منك حاجة ... إيه ؟ ...  
بتقول إيه ... امتى ده حصل ؟ ... والهانم فين ؟ ... خدها بسرعة على  
مستشفى السلام الدولي وأنا هحصلك .. بسرعة يا بني آدم  
- بسمة : مستشفى إيه ؟ ... نادين جرالها حاجة ؟

- فؤاد : نادين قطعت شرايينها ... جننتوا البت يا ولاد الكلب ... والله ما  
هرحمكم

- عاصم : انت هتقعد تزرق وتسيب البنت تموت ؟ .... يلا بسرعة ننزل  
نلحقها ... أنا هنزل معاه يا بسمة ... خليكي إنتي هنا

في لحظات أسرع عاصم وفؤاد لإنقاذ نادين ... ولم أستطع تنفيذ تعليمات  
عاصم بالبقاء في العيادة وقررت اللحاق بهما كما قررت ليلي الذهاب معي  
بالرغم من كل ما حدث ... عجباً لهذه المرأة ، ذهبنا إلى المستشفى في سيارة  
ليلي ، وفي الطريق قمت بالاتصال بعاصم وعلمت منه أن نادين حاولت  
الانتحار بقطع شرايين يدها اليسرى بآلة حادة ، وبالرغم من أن الجرح لم  
يكن بالغ العمق إلا أنها قد نزفت الكثير من الدماء ، أخبرني عاصم برقم  
غرفتها و في دقائق كنت أنا وليلي أمام الغرفة نتابع حالتها عبر الحائط  
الزجاجي .

كان المشهد تراجيدياً بالدرجة الأولى ، نادين بجسدها النحيل الشاحب ممدة على سريرها ومحاطة بعدد من الأجهزة والأسلاك والمحاليل ، فؤاد يجلس عند قدميها ممسكاً إياها بلطف وأسى وكأنه يريد تقبيلها من الندم ، فارس شقيق نادين معها في الغرفة ممسكاً بمصحفه ويقرأ القرآن أملاً في أن تسترد أخته عافيتها ، وبالخارج تجلس أم نادين منهارة تجهش بالبكاء ، اقترب منها انا وليلى ولم تشعر بنا حتى ربتت ليلي على كتفها .

- ليلي : إنتي سوزان مامت نادين صح ؟
- سوزان : أيوه
- بسمة : أنا بسمة ... ودي مدام ليلي
- ليلي "ناظرة إلى نظرة ذات مغزى" : إحنا الاتنين من عيادة الدكتور عاصم
- سوزان : آه ... أهلاً وسهلاً
- بسمة : نادين عاملة إيه دلوقتي ؟
- سوزان : هي دلوقتي تحت الملاحظة ... نرفت كثير حبيبتني وضغطها منخفض جداً
- ليلي : الحمد لله إنها جت على كدة ... ربنا ستر
- سوزان "منهارة" : نادين بتروح مني ... أنا السبب ... أنا السبب
- بسمة : متقوليش كدة يا مدام سوزان ... إنتي ست مؤمنة خللي أملك في ربنا
- سوزان "وهي تمسح دموعها" : يا رب .. يا رب ... نادين قالت لكم حاجة عني

- بسمة : آه طبعاً ... دي نادين بتحبك قوي والله
- ليلي "وقد لاحظت ارتباكى" : عارفة أهم حاجة نادين قالتها لنا إيه ؟
- سوزان "وقد بدا عليها القلق" : إيه ؟
- ليلي : قالت لنا إن عندها أم مفيش زيها في الدنيا ... وممكن تعمل أي حاجة في الدنيا عشانها .

لم تتمالك سوزان نفسها ، فأجهشت بالبكاء ، وبكىنا لبكائها ، في نفس اللحظة جاء الدكتور عاصم يرافقه أحد أطباء المستشفى ، وحينما شاهدهما فؤاد خرج مسرعاً

- فؤاد : خير يا دكتور عاصم ... طمني
- عاصم : اجمد يا سيادة اللواء ... نادين نزفت كثير بس ومحتاجة شوية متابعة والناس هنا مش مقصرين معاها في حاجة ... هي واضح إنها ضعيفة بس ... "وتابع مازحاً : انتم مش بتأكلوها ولا إيه
- فؤاد : تقوم بس ... تقوم بالسلامة وكل اللي نفسها فيه هعمله والله
- عاصم : هي مش ناقصها حاجة يا سيادة اللواء ... إلا حاجة واحدة بس ... وانت عارفها
- فؤاد "مطأطئ الرأس" : مضبوط يا دكتور ... انت صح
- عاصم : مش يلا بينا يا بسمة ولا إيه ... ورانا شغل ... وبكرة هنيجي نطمن عليها ونخرج سوا بيها كلنا بإذن الله
- سوزان : أنا مش عارفة أقولكم إيه والله
- بسمة : أبداً يا فندم ... إحنا معملناش حاجة
- عاصم : إحنا كلنا عيلة واحدة

- فؤاد : خوفك على بنتي وحرصك عليها على راسي يا دكتور ... وإن شاء الله هيبجي اليوم اللي أرد لك فيه جميلك ده ... ده الكارت بتاعي ... أتمنى تتصل بيا في أي وقت وأي حاجة أنا ممكن أخدمك فيها
- عاصم "مازحاً" : لا ياعم الله الغني عن الخدمات بتاعتكم دي ... بس على العموم هات الكارت
- فؤاد : تحت أمرك في أي وقت
- عاصم : خد بالك من نادين
- سوزان : ادعيها يا دكتور
- عاصم : ربنا يعجل شفاها ويطمنا كلنا عليها

وفي هدوء شديد خرج ثلاثتنا – أنا وعاصم وليلى – حيث انصرفت ليلى إلى منزلها بعد توصيلي إلى أقرب محطة مترو ، و انصرف عاصم إلى منزله بعد هذا اليوم العصيب .

الخميس ١٢ أغسطس ٢٠١٠ الساعة ١ ظهراً

## زواج عرفي

كما هو معروف فسيولوجياً وسيكولوجياً ورمضانولوجياً أن البيت المصري خلال شهر رمضان المبارك يكون حافلاً بالطقوس التي قد تعد عند البعض بنفس درجة قدسية الصيام والقيام ، والأمر لا يقتصر على العرقسوس والخشاف والكنافة والفوانيس وزينة رمضان ، بل إن الأمر به مجموعة من التفاصيل والتعقيدات التي قد يطول شرحها ، على سبيل المثال لا الحصر فإننا اليوم ثاني أيام شهر رمضان المبارك ، وكما هو معلوم لدى الجميع أهمية عزومة أول يوم في رمضان والتي غالباً ما تكون عائلية بالدرجة الأولى ، ومهما كان عدد الأصناف المتواجدة على مائدة الإفطار والبدائل المتاحة التي تراعي اختلاف أذوق الجميع فإنه من المستحيل أن نغفل عنصرين أساسيين على تلك المائدة المرضانية ألا وهما : المحشي والبط .

لا أعلم سر الارتباط التاريخي بين المحشي والبط ، ولكن ما أعلمه جيداً أننا طوال اليومين الماضيين كنا نعد لهذا الإفطار الذي شرفنا بالحضور فيه خالي وخالتي بأزواجهما وأبنائهما ، والذي جعلني أنا وأمي في معسكر مغلق لإعداد جميع أنواع المحاشي والأطعمة والحلويات والمشروبات ، إلى أن انتهى هذا المعسكر مع غسيل آخر طبق قبل إعداد السحور بلحظات ، وها أنذا أصارع النوم على مكتبي بالمدرسة حتى ينتهي هذا اليوم الخالي تماماً من العمل بحكم أننا في إجازة الصيف ، ومع تمام الواحدة ظهراً قمت أستعد للرحيل وحينها رن هاتفي لأجد أن ميار تتصل بي ، فرددت عليها

- بسمة : يا أندل خلق الله ... لسه فاكراني ؟
  - ميار : لا عيب عليكي ... أنا أقدر أنساكي ... وبعدين مش النهاردة الدكتور عاصم عازمنا على الفطار برضه ولا هيخلع ؟
  - بسمة : لا تمام في نفس المعاد ... هنتقابل كلنا على بعد العصر بساعة كدة ونتحرك سوا ... أنا أصلاً هكون هناك كدة كدة ... هطلع من المدرسة على هناك دلوقتي
  - ميار : طب يلا أنا مستنياكي
  - بسمة : مستنياني فين ؟ ... أنا لسه في المدرسة وخارجة حالياً
  - ميار : أو ك مانا على باب المدرسة أهو يلا انجزي
- على باب المدرسة وقفت ميار مستندة إلى سيارة هاتشباك حمراء اللون ، وما إن رأنتي حتى قدمت إلى مسرعة واحتضتني طويلاً
- ميار : والله والله وحشاني جداً جداً ... يلا تعالي اركبي مفيش وقت ؟
  - بسمة : لا متقوليش ... عربية التخرج أكيد
  - ميار : طبعاً طبعاً ... الحاج طلع جدع و نفذ وعده
  - بسمة : ماشي ياعم ... ربنا يخيلنا الحاج
- ركبت معاه السيارة و في الطريق دار هذا الحوار
- بسمة : إنتي خطفاني ورايحة على فين كدة ؟
  - ميار : فرح واحدة حبيبتني كدة ع السريع ونطلع على الفطار بتاعنا
  - بسمة : فرح إيه ده اللي الظهر تاني يوم رمضان ؟ كتب كتاب يعني ؟
  - ... وبعدين فرح إيه اللي إنتي راياهاه بجينز وكوتشي ده ؟



- ميار : متستعجليش على رزقك ... ياخبر بفلوس ... والله وحشاني
  - بسمة : وناوية على إيه بعدما اتخرجتي
  - ميار : بصي هو مبدئياً أنا بدأت في كورس هنا ٦ شهور ... قاعدة على قلبكم يعني ... بصراحة مش علوزة أرجع الاسماعيلية تاني ... كمان فيه حد معرفة جايب لي شغل في شركة سياحة ... يعني رسمي كدة أنا لاجئة هنا
  - بسمة : جميل والله ... أنا قلت إنت خلاص بعتنا يا معلم
  - ميار : لا والله مقدرش ... كمان برضه مش هعرف أفصل من الشلة
- وصلنا إلى أحد الكافيهات في منطقة مدينة نصر ، نزلنا من السيارة ، واتجهنا إلى الكافيه
- بسمة : فرح وكافيه في عز الظهر في رمضان ؟ مش مطمئة
  - ميار : والله إنتي عسل ... ادخلي برجلك الشمال ادخلي
- ويبدو أنها كانت جادة تماماً حينما قالت "ادخلي برجلك الشمال" ... فلقد كان باب الكافيه هو بوابة "الشمال" حرفياً ... فبالرغم من أجواء رمضان والصيام خارج المكان إلا أن رمضان نفسه لم يجرؤ على اقتحام هذا المكان ... فهذه فتاة شبه عارية تتراقص وتتلوى وقد بدا عليها أثر المخدرات ... وهذا شاب ممسكاً بفتاة ويتبادلان القبلات الساخنة دون أي اعتبار لما حولهما ... وهؤلاء مجموعة شباب يلفون السجائر وحولهم الزجاجات والأكواب الفارغة منها والمملوءة ... وهذه تجلس على رجل ذلك ... وهذا يعبث في جسد تلك .

- بسمة : إيه القرف ده ؟ ... أنا خارجة ... سلام
- ميار : ملناش دعوة يا بسمة ... خليكي في حالك ... هم حرين ... تعالي
- بس ... إحنا مش هنقعد هنا ... إحنا داخلين جوه
- بسمة : جوه فين تاني ؟ .... لما برة و ده بيحصل ... يبقى أكيد جوه
- سراير
- ميار "ضاحكة" : وطي صوتك ... والله هئنضرب بسببك ... تعالي
- تعالي

كنا نسير في اتجاه أحد أركان الكافيه ، وبدأت ميار تسلم على كل من يقابلها وتبادلته الأحضان والقبلات شاب كان أم فتاة ، حيث بدا وكأنها أحد نجومات المكان ، وفي الركن المنشود كانت هناك جلسة مختلفة قليلاً عن الجو السابق ، حيث كان يبدو أن الموجودين في وعيهم بالنسبة لمن رأيتهم سابقاً ، كان هناك شاب وفتاة يجلسان وأمامهما مائدة صغيرة يستخدمها ثالث في كتابة بعض الأوراق وكأنه يحرر عقداً ما ، وحولهم جميعاً ما يقرب من ٢٠ شاب وفتاة في نفس المرحلة العمرية .

- ميار : آدي يا ستي الفرحة ... شفتي البساطة والحلاوة ... "ثم رفعت صوتها لتسمعها الفتاة" .... مبروك يا عروسة ... عاوزينك تعمري
- شوية أكثر المرة دي

- بسمة : تعمر ؟ ... هي كانت لحقت اتجوزت قبل كدة ؟
- ميار : مرتين بس قبل كدة .... بصي أنا هفهمك عشان ترحميني من أسئلتك ونظراتك دي ... الكافيه ده بنحجز فيه البارتيشن ده بحوالي ٥٠٠ جنيه ... والمحامي اللي قدامك ده بياخد ٥٠٠ زيهم ويكتب أحلى

عقد جواز ... واتنين من الشلة بيمضوا شهود وفل قوي على كدة ... لا  
شبكة بقى ولا نيش ولا الهري ده كله ... ولو الموضوع قلب بخنقة  
ممکن نفرکش برضه

- بسمة : وهو ده كدة بيبقى اسمه جواز ؟
- ميار : لا عيب عليكى بقى انتى نسيتى إني حقوق ولا إيه ؟ ... هو  
الجواز إيه ؟ مش قبول وإشهار ؟ أدي العريس وأدي العروسة وادي  
الإشهار وادي العقد ... و مية مية
- بسمة : وفين بيت الزوجية ؟ وفين ولي العروسة ؟
- ميار : برضه الكافيه عنده كام أوضة فوق بيأجرها الليلة ٥٠٠ جنيه لو  
يعني العرسان مزنوقين وكدة
- بسمة : انتى بتستهلي ؟
- ميار : والله ده النظام ... وعلى فكرة أغلب الشلة متجوزين مرة واتنين  
وتلاتة والحياة بيس
- بسمة : وانتى عملتي كدة ؟
- ميار : لا طبعاً ... أنا اتفقت مع وليد إني أخلص دراسة الأول .... وليد  
الشاب المز اللي جاي ناحيتنا ده ؟ .... ليده حبيبي بالحضن يلا
- وليد "بعد تبادل الأحضان والقبلات" : ميرووووو ... مش يلا بقى ...  
أدي المحامي والشهود والمعازيم ومش ناقصنا حاجة ... "ثم نظر إلى  
وقال" : وأدي أم العروسة كمان .... منورة يا حماتي
- ميار : وليد ... بسمة أنتيمتي وبتفقس من الهزار البايخ

- وليد : أوك طالما أنتيمتك يبقى ليها أحلى واجب ... نورتي الفرحة يا  
مزة

قالها ثم جذبني من وسطي وهم بتقبيلي ، ولا إرادياً صفعته بقوة لفتت أنظار  
الجميع

- وليد : إنتي بتضربيني بالقلم يا بنت ال..
- بسمة : وأضربك بالجزمة كمان
- ميار : خلاص يا بسمة ... بس يا وليد ... مبروك يا عروسة ... معلىش  
يا جماعة عندنا مشوار مضطرين نمشي
- وليد : مش هتمشي يا ميار
- ميار : وليد ... فكك واهدى .. راجعالك بالليل
- وليد : مفيش بالليل ... أنا قلت مش هتمشي ... وهنتجوز دلوقتي ... أنا  
عامل حسابي
- ميار "وقد همت بالانصراف" : نتجوز دلوقتي ؟ انت أكيد مجنون ...  
أصلاً مينفعش
- وليد "ممسكاً يدها" : مينفعش ليه ؟ ... هي جت بدري ولا إيه ؟
- ميار "منفعلة" : إنت إنسان وقح و زبالة

صفعها وليد صفحة قوية ، فبادلته ميار الصفحة ، وتدخلت في المعركة  
وراحل يبادلنا الصفحات والضربات حتى تدخل أفراد الشلة واستطاعوا  
تفريقنا ، خرجت أنا وميار مسرعتين إلى السيارة ، وداخل السيارة حاولت  
السيطرة على انفعالاتي بصعوبة .

- بسمة : عاجبك اللي حصل ده ؟ ... ده وليد اللي عوزة تتجوزيه ؟
- ميار : وليد مش كدة أنا عارفاه ... هو بس أكيد فيه حاجة مضايقيه
- بسمة : إنتي كمان بتدافعي عنه ؟
- ميار : صدقيني يا بسمة وليد كويس ... أنا عارفاه من زمان
- بسمة : لدرجة إنك تأتمنيه على نفسك ... وتسلميله نفسك ... هو ده اللي يستاهلك يا ميار ... هو ده الإنسان اللي المفروض إنه يحل محل معتز الله يرحمه ؟
- لم أذكر اسم "معتز" ابن خالها صدفةً ، فأنا أعلم تماماً أنها لم ولن تنساه ، وأحسست أن ضربتي أصابة قلبها فتابعت الضرب وهي تحبس دموعها
- بسمة : نسيتي معتز يا ميار ؟ ... بلاش معتز ... نسيتي ميار ؟ ... إنتي عاجبك شكلك ده ؟ ... إيه الجو الزبالة اللي إنتي فيه ده ؟ ... أنا كنت فاكرة إنهم يومين وهيعدوا لما الدراسة تخلص وتبعدي عن الشلة الوسخة دي لكن واضح إنني كنت غلطانة
- ميار : عمري ما نسيت معتز يا بسمة ... عمري ما نسيتيه
- بسمة : لا نسيتيه ... ونسيتي نفسك ... إنتي بتهربي من مين ؟ من عيلتك ولا من نفسك ؟ ... إنتي بتعاقبي مين ؟ ... انتي عاوزة تثبتي إيه ولمين ؟ ... فوقى بقى فوقى
- ميار : عمري ما حبيت إنني أكون كدة ... حتى لما كنت بقعد مع الشلة كنت ببقى كارهة منظري بس بحاول أعمل نفسي مبسوطه يمكن اتبسوط ... وليد بقاله سنة بيكلمني في الجواز وأنا اللي مأجلة الموضوع ومش عارفة ليه

- بسمه : أنا عارفة ليه ... عشان لسه جواكي حاجة صح ... بتقدر تميز

الغلط من الصح

- ميار : تفتكري ؟

- بسمه : إنتي مش شيطان ... ولا ملاك ... زيي وزى كل البشر لازم

نغلط ... بس الفكرة في إننا تبقى عارفين إنه الغلط غلط ... ونرجع

بسرعة قبل ما الغلط يكبر لأنه ساعتها هيكون الرجوع مكلف قوي ...

قوي يا ميار

- ميار : أنا تعبانة قوي ومتلخبطة قوي ... أنا هاجي معاكي أوصلك

وبعدين أمشي ... مش هقدر آجي الفطار ... يا ريت تبلغني الدكتور

عاصم اعتذاري

- بسمه : بالعكس إنتي لازم تيجي ... أنا هسبقك على هناك وإنتي روعي

اغسلي وشك اللي اتبهدل ده وغيري هدومك وتعالى

- ميار : مش هقدر والله ... مش هقدر

- بسمه : والله لو ماجيتي ما هكلمك تاني ... صحيح يا بت إنتي صايمة

ولا فاطرة زي العيال الشمامة اللي جوه دي

- ميار : والله صايمة ... شفتي بقى

- بسمه : طب يلا أنا هنزل وأسبقتك ... والله لو ماجيتي لأزعل منك

- ميار : أوك هشوف وأكلمك ... باي

انصرفت ميار بسيارتها ، وذهبت أنا إلى العيادة حيث كانت مواعيد العمل في

رمضان مختلفة ، دخلت المكتب لأتابع بعض الأعمال ، وماهي إلى دقائق

حتى سمعت صوت طرقات على الباب ، ثم فتح الباب وكانت المفاجأة ...  
حازم شقيق الدكتور عاصم

- حازم : السلام عليكم
- بسمه : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ... المهندس حازم عندنا ...  
يا مرحباً يا مرحباً
- حازم : كل سنة وإنتي طيبة يا دكتور ... عاش من شافك
- بسمه : وحضرتك طيب ... إيه أخبارك وأخبار إسكندرية على حسك ؟
- حازم : تمام والله ... بس برضه مفيش زي رمضان القاهرة ... أنا لازم  
أنزل أخذ غطس كدة القاهرة والسيدة والحسين وأرجع تاني ...وعاصم  
أخباره إيه ؟
- بسمه : زي الفل ... من ساعة العلقة اللي أخذتها بسببك
- حازم : تعيشي وتأخدي غيرها ... هو فين صحيح ؟
- بسمه : في البيت أكيد ... بياخذ الإذن قبل ما يبجي ... أصله عازمنا  
على الفطار
- حازم : إذن ؟ ... إذن مين مش فاهم ؟ ... وإيه موضوع الفطار ده ؟ أنا  
هاكل معاكم مليش دعوة
- بسمه : لا والنبي ... الدكتور عاصم مزاجه رايق اليومين دول ... اطلع  
منها ... هو زمانه جاي ياريت تخلع بقي
- حازم : اخلع كمان ؟ ... يا ستي ربنا يديم الروقان ... أوك أنا ماشي  
... وتبقي قوليله أنا عازم نفسي عنده بكرة ... واحتمال أعدي عليه  
النهاردة

- بسمة : تعزم نفسك كدة منك لنفسك ؟ ... هو إيه الراجل فاضيلك مثلاً ؟  
... مش واجب يعمل حسابه ويبلغ الناس اللي عايش معاهم
- حازم : ناس مين ؟ عاصم أخويا يا دكتور مفيش بيننا رسميات ...  
بصي أنا صايم وجاي من سفر ومش فايق ولا فاهمك بصراحة ... أنا  
ماشى ... يلا سلام
- بسمة : صحيح جبت معاك هدية لشذى ؟ ... ولا هتكبر دماغك ؟
- حازم : شذى بنت عاصم ؟ ... مالها ؟
- بسمة : معقولة متعرفش إنها نجحت في ثانوية عامة وجابت ٩٦% ...  
ده الدكتور عاصم قال إنك هتفرح قوي لأنها هتدخل هندسة القاهرة  
زيك
- حازم "وقد ظل وجهه جامداً بدون تعبيرات" : عاصم قال لك كدة إمتى ؟
- بسمة : على طول بيقول كدة .. إيه إنت نسيت أخوك ولا إيه ؟
- حازم : لا مش ناسيه ... على فكرة أنا لازم أكلمك وأقعد معاكي قريب  
عشان عاوزك في موضوع مهم ... هبقى أكلمك
- بسمة : موضوع إيه ؟
- حازم : هبقى أكلمك ... معلىش بقى لازم أمشي عشان واقع والله وعاوز  
أريح شوية قبل المغرب
- بسمة : أوك ... ربنا يقويك
- حازم : سلميلي على عاصم بقى ... متنسش ... سلام
- بسمة : مع السلامة يا بشمهندس



## خرج حازم وأغلق الباب وراءه

- بسمه : إيه يا ربي العيلة الغريبة دي ، أما أقوم أشوف قصة الفطار دي  
ظروفها إيه ... يا عم سليمان ... يا عم سليمان إنت فين

الخميس ٢ سبتمبر ٢٠١٠ الساعة ٩ مساءً

## الحادثة

بعد نجاح إفطارنا الأول والذي لم يتخلف أحد منا عن حضوره بما في ذلك ميار بعد الواقعة المؤسفة التي شهدناها سوياً ، بعد نجاح الإفطار قررت ليلي أن تقوم بعمل لإطار مماثل على أن يكون عائلياً هذه المرة ، وقامت بتوجيه الدعوة إلى نادين ووالديها ، وشيرين ووالدتها ، وميار التي قررت أنها ستأتي وحدها ، والدكتور عاصم وزوجته وابنتيه ، والذي عرض عليها استضافة الإفطار في العيادة باعتبار أنها المكان الذي يضم عائلتنا الصغيرة وأن المكان يتسع للكثيرين ، فوافقنا ليلي وقامت بإعداد كل ما يلزم الإفطار الذي كان غاية في الروعة ، وأشاد الجميع بجمال اليوم والمشاعر الطيبة التي تغلف لقاءاتنا دوماً .

وفي النهاية حرص الدكتور عاصم على أن يستغل الحدث وطلب من كل واحد أن يوجه كلمة لبقية الحضور ، تحدث والد نادين وأعرب عن شكره للدكتور عاصم وللمجموعة كلها واعتزازه بمعرفة مجموعة متميزة من الناس ذوي الاخلاقيات الرفيعة ، تحدثت ميار ووجهت الشكر لي وللدكتور عاصم على كل ما يقدمونه للفريق ، كما شكرتنا كثيراً والدة شيرين و وعدتنا بزيارات عديدة حيث أعجبها المكان كثيراً ، والعلاقات الطيبة التي يتميز بها رواده .

أما مسك الختام فكانت ليلي التي وقفت وكأنها تعد نفسها لإلقاء بيان هام ، وابتسمت ابتسامة واسعة وقالت :

- مفيش شك إنني لازم أتوجه بالشكر للدكتور عاصم والدكتورة بسمة الجنود المجهولين المعلومين في المكان الجميل ده ، الناس اللي بأقل الإمكانيات والكلمات قدروا إنهم يغيروا فينا حاجات كثيرة قوي ، والأهم من كدة إنهم خلونا إحنا نحب نغير من نفسنا وإننا نبذل الوقت والجهد عشان نبقى أفضل وأجمل ، كمان لازم أشكر عيلتي الجديدة الجميلة المهندسة شيرين والمعلمة ميار والأميرة نادين ، بشكرهم إنهم إدوني حاجة كنت مفتقداها من زمان قوي ، إدوني فرصة إنني أحب وأتحب وأحس بقيمة العلاقات الإنسانية الجميلة البعيدة عن المصالح والبنس اللي كلنا غرقانين فيه .

ثم سكتت للحظات ونظرت إلى زوجها نظرة تشع حباً وحناناً بشكل فاجأنا جميعاً وقالت :

- كل الناس اللي قلت أساميهم ربنا وحده اللي يعلم هم إيه في قلبي وهم غيروني إزاي حتى من غير ما يعملوا حاجة ، لكن دلوقتي حابة إنني أوجه كلمة لحد معين ، إنسان ممكن يكون مختلف عني في كل حاجة ، إلا إنه ده عمره ما كان حاجز بينه وبينني ، عمره ما خلاه يبعد عني أو ياخده مني ، بالعكس ، لكنه قعد سنين يحبني ويهتم بيا ، عمل عشانني كتير قوي في الوقت اللي ممكن كنت أنا فيه مش مستوعبة اللي بيعمله أو مش قادرة أتجاوب معاه ، لكن ده برضه مخلاهوش بيبأس وكان دائماً بيحاول مرة واثنين ومية وألف ، الراجل ده يا جماعة هدية ربنا ليا ، وأنا دلوقتي حابة قوي إنني أقول له قدامكم كلكم شكراً يا حسام ... شكراً على كل حاجة حلوة عملتها وبتعملها عشانني ... أنا بحبك قوي

... وربنا يقدرني ويديني العمر اللي أقدر أخليك فيه أسعد راجل في الدنيا وأعوضك عن كل حاجة ... ربنا يخليك ليا وميحرمنيش منك أبداً

قالت كلمتها والدموع تنساب من عينيها فقام إليها حسام وقبل رأسها ويديها واحتضنها بقوة بصفقنا لهما جميعاً ودموعنا تختلط بابتساماتنا .

بعد هذه الفقرة وقبيل الانصراف بدقائق طلب الدكتور عاصم من شيرين مقابلة في مكتبه على انفراد ، وطلب مني أيضاً التواجد معهما ، وفي مكتب عاصم اجتمع ثلاثتنا وكان هذا الحوار

- شيرين : خير يا دكتور ... قلفتني
- عاصم : بصي باختصار و بدون مقدمات ... كريم كان عندي هنا إمبراح
- شيرين : كريم مين ؟ ... كريم ؟ ... و عرفك منين ؟ ... وكان عاوز إيه ؟
- عاصم : اهدي بس ... أنا هفهمك
- شيرين : مش عاوزة أفهم حاجة ... اللي بيني وبين كريم انتهى وكل واحد راح لحاله
- عاصم : حتى لو قلتك إنه لسه بيحبك
- شيرين : دكتور عاصم لو سمحت متخليينيش أندم إنني وثقت في حضرتك ، وبعدين إيه اللي عرف كريم إنني باجي هنا ؟ ... ممكن تعرفني ؟ ... ليه كدة يا دكتور ... ده أنا كنت بدأت أرجع أثق في الناس ... هو أنا كل ما اثق في حد يطلع بيخدعني ... ليه كدة ليه

- بسمة : ثواني يا شيرين ... نفهم بس الحكاية من الدكتور عاصم الأول
- عاصم : كريم عمره ما نسيكي يا شيرين ... بيمشي وراكي في كل حنة ... بيعرف أخبارك أول باول ... كل الأماكن اللي بتروحها والناس اللي بتقابلهم هو عارفهم ... كريم أقسم لي إنه غلط وعرف غلطته وندم و عمره ما هيكررها تاني ... وقال لي إنه بيحاول يكلمك وبيعتلك وإنتي اللي رافضة
- شيرين : وهو مش طبيعي إنني أرفضه بعد خيانتة ليا ؟
- عاصم : فيه فرق بين الخيانة وإنه فكر في الخيانة يا شيرين
- شيرين : وأنا بالنسبة لي مفيش فرق ... وبعدين أكيد حضرتك راجل ولازم تبرر له
- بسمة : دكتور عاصم عمره ما يبرر غلط يا شيرين وانتي عارفاه
- عاصم : كريم كان هنا إمبراح زي ما قتلتك و دي كانت أول مرة أشوفه وأكلمه في حياتي ... والراجل عاوز يرجع بالشروط والضمانات اللي تحديدها ومعدوش مانع إنه تكون الاتفاقات هنا في المكتب وفي وجودي
- شيرين : وأنا متشكرة ليك يا دكتور ... واعدرني مش هقدر أسمع كلامك المرة دي
- بسمة : طب ليه ؟ ... ما تقعدني معاه وتشوفي يمكن اتغير فعلاً
- شيرين : حتى لو اتغير مبقاش يلزمني ... "وتغيرت لهجتها قليلاً" أنا خلاص ماشية في موضوع كدة وقريب قوي هتحضروا فرحي ... ولا ناويين متجوش ؟

- عاصم : فرحك ؟ على طول كدة ؟ مقلتيش يعني
- شيرين : لا الموضوع جه بسرعة ... ولسه فيه شوية ترتيبات
- بسمة : حد نعرفه ؟
- شيرين : لا للأسف ... هو مش مصري أصلاً ... لبناني ومعاه جنسية ألمانية ... بيشتغل في كذا هيئة خدمية وصحية تبع اليونسكو ...
- اتعرفت عليه في جروب كان بيقدم لنا استشارات مجانية ونصائح عشان الدايت ... كنا بنبعت له ويتواصل معانا كل واحد لوحده ... حتى بيتظن علينا باستمرار .. بنبعت له البرنامج الغذائي بتاعنا وكل شهر بيطلب مننا شوية تمارين وتحاليل بنعملها ونبعتهاله
- عاصم : تحاليل إيه ؟
- شيرين : دم و وظائف كبد وكلى وحاجات كدة عشان يشوف إحنا ماشيين كويس ولا لأ
- عاصم : غريبة شوية
- شيرين : من فترة كلمني وقال لي إنه معجب بيا وحابب إنه يتعرف عليا أكثر ... وبدأنا نقرب من بعض ... صارحني إنه عاوز يتقدم لي ... وبعثلي بياناته وصوره في الشغل وكل حاجة عشان اظن ...
- وجالي وقابل ماما واشترالي خاتم سوليتير واتفقنا على شوية ترتيبات ... هو هيتجوزني ويبعثلي تأشيرة سياحة وأروح له لحد ما يرتب إقامتي هناك
- بسمة : مش شايفة إنه الموضوع بيتم بسرعة مبالغ فيها ؟

- شيرين : وشايفة كمان إنه عاوزني جداً وحابب يرتبط بيا ... بقولك جابلي خاتم سوليتير إنتي عارفة ده بكام ؟ ... أكيد مش بيهزر يعني
- عاصم : طب ممكن تخلينا نسأل عنه شوية ؟ ... نطمئن بس
- شيرين : أوك مفيش أي مشكلة ... هبعثلك كل حاجة النهاردة لما أروح
- عاصم : إذا كان ده قرارك النهائي إحنا أول ناس هنبارك لك يا شيرين ... لازم تكوني واثقة من كدة كويس
- - بسمة : أكيد والله
- شيرين : ربنا يديم المعروف يا دكتور .... أستأذن أنا بقى عشان زمان ماما قلقانة
- عاصم : اتفضلي طبعاً ... أنا جاي معاكي أسلم على ماما وباقي الناس ... أكيد عاوزين يمشوا هم كمان
- وبعدما انصرف الجميع ، كان القلق لا يزال مسيطراً علي بخصوص موضوع شيرين فسألت الدكتور عاصم
- بسمة : هتعمل حاجة في موضوع شيرين ؟
- عاصم : أكيد ... بس مش عارف إزاي ... الموضوع ملخبط والوقت ضيق
- بسمة : وبعدين ؟ ... أنا مش مرتاحة للقصة دي خالص
- عاصم : والله ولا أنا
- بسمة : إنت إيه أكثر حاجة قالك ؟
- عاصم : الاحتمالات كتيرة يا بسمة وكلها أصعب من بعض
- بسمة : يا نهار أسود

- عاصم : طبعاً ... سهل جداً يجيب خاتم بكام ألف وتذكرة طيران  
ويسفرها ... وهناك ممكن تتباع لأي حد ... ولا مسمعتيش عن الرقيق  
الأبيض؟

- بسمة : يا لهوي ... تتباع؟ ... إحنا لازم نمنعها فوراً

- عاصم : لسه الموضوع مخرجش عن الشك يا بسمة

- بسمة : طب نعمل إيه؟ ندور في النت؟ ... نسأل مين

- عاصم : الموضوع مش بالسهولة دي ... دي بتبقى عصابات دولية  
منظمة أكيد مش بيسيوا وراهم خيوط

- بسمة : طب هنعمل إيه؟

- عاصم : هو للأسف مفيش قدامي إلا حل واحد مكنتش أتمنى إني ألجأ  
له بصراحة

- بسمة : حل إيه؟

ذهب إلي مكتب وفتح العلبة الخاصة بالكروت الشخصية وأخرج منها أحد  
الكروت وقال

- عاصم : اللواء فؤاد ... والد نادين ... أكثر حد ممكن ينفعنا في قصة  
زي دي

- بسمة : صح جداً ... أيوه هو مفيش غيره ... كلمه بسرعة ... دلوقتي  
حالاً

أخذ هاتفه وطلب اللواء فؤاد



- عاصم : سيادة اللواء ... دكتور عاصم النجار معاك ... ربنا يخليك يا  
فندم انت اللي نورتنا والله ... سيادة اللواء كنت عاوزك في موضوع  
يهم حد عزيز عليا ... لا هو للأسف مش هينفع في التليفون ... تمام ...  
الوقت اللي يناسبك .... آه عارفه .... الساعة أربعة ؟ .... الساعة أربعة  
بالدقيقة هكون عندك بإذن الله ... شكراً جزيلاً يا فندم ... في رعاية الله
- بسمة : ها ... قال لك إيه ؟
- عاصم : بكرة الساعة ٤ هقابله ... وأهو تكون شيرين بعنت لي الحاجة  
زي ما بتقول
- بسمة : طب تمام الحمد لله .... قلبي مقبوض قوي ... ربنا يجيب  
العواقب سليمة
- عاصم : مش يلا بقى عشان أوصلك في سكتي ؟
- بسمة : نازل دلوقتي ؟
- عاصم : للأسف مضطر أنزل ... سلوى عاوزاني أنزل أشترى معاها  
شوية حاجات قبل زنقة العيد
- بسمة : لا انزل انت ... أنا هقعد خمسة كدة أهدي شوية ... مش هينفع  
أروح وأنا متلخبطة كدة
- عاصم : أوك زي ما تحبي ... أخلي سليمان يعمل لك حاجة ؟
- بسمة : لا مفيش داعي أنا مش هطول
- عاصم : أوك ... ربنا معاكي ... أنا هزوغ بقى عشان موبايلي فاصل  
شحن وزمانها قالبية الدنيا عليا

- بسمة : ماشي يا دكتور ... على فكرة ... بلغها سلامي وقل لها إننا كان  
نفسنا نشوفها النهاردة

- عاصم : حاضر يا ستي ... يلا سلامو عليكو

خرج عاصم في هدوء ، جلست على الانتريه وألقيت برأسي إلى الورااء أفكر  
في أحداث اليوم بحلوه و مره ، أخرجت هاتفي المحمول واكتشفت أنه كان  
على الوضع صامتاً منذ ساعة الإفطار وحتى الآن ، وها هي العديد من  
المكالمات التي لم أنتبه لها ، من هدى و أمي و عدد من الأرقام الغريبة ،  
أخذني من شرودي وقع أقدام تدخل العيادة ، وصوت مألوف يسلم على عم  
سليمان ، لأتأكد في لحظات أنه صوت حازم الذي طرق باب المكتب المفتوح  
قبل أن يدخل

- حازم : السلام عليكم يا أهل الكهف

- بسمة : عليكم السلام يا بشمهندس ... إيه أهل الكهف دي ؟

- حازم : الباشا تليفونه مقفول ... وحضرتك مش بتردي على الأرقام  
الغريبة باين ولا إيه

- بسمة : لا والله أنا لسه مكتشفة إن الموبايل كان سيلنت دلوقتي حالاً  
... و فعلاً دكتور عاصم موبايله فاصل شحن ... ده كان هنا ولسه  
خارج حالاً

- حازم : أنا كنت معدي تحت لقيت المكتب منور فقلت أتصل قبل ما  
أطلع

- بسمة : لو محتاج له ضروري ممكن تكلمه على موبايل مدام سلوى

- حازم "باندهاش" : وهو موبايل سلوى بيعمل معاه إيه ؟

- بسمة : لا مش الموبايل اللي معاه ... مدام سلوى هي اللي معاه وأكد الموبايل بتاعها ....
- حازم "مقاطعاً" : ثواني يا بسمة ... واحدة واحدة ... هو عاصم قال لك إنه رايح فين ؟
- بسمة : هو قال إنه هيقابل مدام سلوى وينزلوا يشتروا حاجات قبل زحمة العيد
- حازم : إنتي تعرفي عاصم كويس ؟
- بسمة : مش فاهمة تقصد إيه من السؤال
- حازم : يعني تعرفي عاصم وأسرته ... تعرفي حاجة عن حياته العائلية
- بسمة : بصراحة كل معلوماتي مش اكثر من اللي بيقوله دكتور عاصم عنهم لأنني للأسف مقابلتش مدام سلوى أو حد من البنات خلال الكام شهر اللي اشتغلت فيهم مع دكتور عاصم ... بس اللي متأكدة منه إن دكتور عاصم بيحب عيلته قوي ومخصص لهم اغلب يومه ودايماً معاهم في الحاجت اللي بيحبوها في النادي والسينما حتى الخروجات وباقي الـ ....
- حازم : متأسف إنني بقطع كلامك ... بس ممكن أفتح الكمبيوتر دقيقتين بالظبط ؟
- بسمة : انت عارف دكتور عاصم مش بيحب حد يقرب في حاجاته
- حازم : ولا هقلب في أي حاجة ... أنا محتاج أدخل على النت دقيقتين مش أكثر
- بسمة : أوك ... اتفضل

لم أكن في حاجة إلى المزيد من الحيرة والصدمات ولكن فلنقل أنه فضول المرأة ومحاولة معرفة ما يدور في ذهن حازم وفك طلاسم الدهشة والحيرة الواضحة على ملامحه منذ أن بدأنا الحوار ، وفي لحظات كان حازم أمام الكمبيوتر ، فتح متصفح جوجل وأخذ يكتب بعض الكلمات في خانة البحث ثم يستعرض النتائج ، إلى أن وصل للنتيجة التي أرادها ، فتح الصفح وانتظر حتى تم تحميلها بالكامل ثم نظر إلى وقال

- مش عارف اللي أنا بعمله ده صح ولا غلط ... بس مش هخبي عليك  
أنا بدأت أقلق ... وخايف عليك ... تعالي اقعدى مكاني واقراي كدة

لم أجد كلاماً أرد به على حازم ولكنني امتثلت لطلبه وجلست مكانه على المكتب وبدأت في القراءة بصوت عالي ... وكأنني أقرأ بلساني كي يسمع قلبي

- مقتل ٤ أشخاص في اشتعال سيارة ملاكي بصحراوي الإسكندرية ...  
لقي أربعة أشخاص مصرعهم في اشتعال سيارة ملاكي بطريق القاهرة  
- الإسكندرية الصحراوي إثر اصطدامها بسيارة نقل ... وبالمعاينة  
تبين تفحم جثث جميع ركاب السيارة الملاكي الأربعة وقد تم نقل  
الجثث إلى مشرحة مستشفى العامرية العام ...

نظرت إلى حازم الذي أوماً برأسه وأشار إلى شاشة الكمبيوتر قائلاً : كمل  
قراءة ... فأكملت ...

- .... وقد أسفر الحادث عن إصابة سائق السيارة النقل بكدمات وجروح طفيفة بينما لقي ركاب السيارة الملاكي جميعاً حتفهم وهم : سلوى رمضان الشايب ٤٠ سنة - ضحى عبد الحميد النجار ٣٢ سنة - ندى عاصم عبد الحميد ٢٠ سنة - شذى عاصم عبد الحميد ١٧ سنة .

نظرت مرة أخرى إلى حازم وأنا أصرخ من الصدمة

- حازم : أنا عارف إنه صعب عليكي تصدقي حاجة زي كدة
- بسمة : يعني إيه ؟ ... إزاي ؟ ... الكلام ده حصل إمتى ؟
- حازم : من حوالي ١٠ سنين
- بسمة : عشر سنين ؟ ... عشر سنين ؟ ... يعني إيه برضه ؟ ... وكل ده إيه ؟ ... لالالا ... فيه حاجة غلط ... أكيد فيه حاجة غلط

وهنا نظرت إلى الصورة العائلية الموضوعة على مكتب عاصم وبالرغم من أنني رأيتها عشرات المرات إلا أنني لم أنتبه مطلقاً إلى الحقيقة ، كانت الصورة على ما يبدو أنه تم التقاطها منذ ما يزيد على عشر سنوات نظراً لتغير ملامح عاصم في الصورة عما هو عليه الآن ، ولكن الصورة أيضاً تشير إلى أعمار سلوى وندى وشذى التي أخبرني بها عاصم ، وكأنه تم تجميد أعمار جميع من بالصورة إلا عاصم نفسه .

- بسمة : الصورة دي كانت قبل الحادثة بكثير ؟
- حازم : في نفس الصيف اللي حصلت فيه الحادثة .
- بسمة : انت عاوز تقول إيه ؟ ... عاوز تقول إن الدكتور عاصم مجنون

؟

- حازم : وإنتي متخيلة إن حاجة زي دي هتفرحني ؟
- بسمة : أنا مش فاهمة حاجة ... أمال هو بيروح فين ولا بيعمل إيه ...  
ده طول النهار بيكلم مراته في التليفون وبيحكيها كل حاجة بالتفصيل  
... ورايح جاي مع البنات ... حتى مشكلة أخته ... رايح جاي معاها ...  
إيه ده ؟ هي أختكم كمان كانت في الحادثة ؟
- حازم "دامعاً" : أنا هحكياك كل حاجة
- بسمة : لا لا كفاية ... كفاية أرجوك ... أنا مش قادرة ... حرام والله  
حرام

لا أتذكر هل كان ضغطي المنخفض هو السبب أم أنه تأثير الصيام في الصيف وانخفاض نسبة السكر في الدم ، أم أنه القلق على شيرين ، أم صدمة عاصم ، ربما كانت كل هذه الأسباب مجتمعة ، ولكنني أتذكر جيداً أنني أغشي علي للمرة الثانية في مكتب الدكتور عاصم .

الأحد ٥ سبتمبر ٢٠١٠ الساعة ١١ صباحاً

## تجارة أعضاء

كانت صدمة الخميس الماضي كفيلة باعتذاري عن العمل مع عاصم بشكل نهائي ، فعندما أفقت من الإغماء التي تعرضت لها حكى لي حازم حكاية عاصم وحقيقته ، وكيف كان عاصم مثال للزوج الأناني والأب القاسي ، والخلافات التي كانت تدور بينه وبين زوجته على أتفه الأسباب ، والتي دفعت زوجته إلى طلب الطلاق أكثر من مرة ، الأمر الذي دفعها للهروب من جحيم الحياة معه ، فجمعت متعلقاتها وأخذت البننتين وسافرن جميعاً مع ضحى في سيارتها حيث كانت قد نصحتها بالبقاء في منزل العائلة بالعجمي لحين انتهاء فترة التوتر مع عاصم وعودة المياه إلى مجاريها ، وفي طريقهم إلى الإسكندرية اتصل بهم عاصم وتوعدهم جميعاً الأمر الذي تسبب في غضب ضحى أثناء حديثها مع عاصم فاختلفت عجلة القيادة في يديها واصطدمت بسيارة نقل تصادف وجودها على نفس الطريق ، وحدث ما حدث .

أصيب عاصم بجلطة في المخ فور رؤيته لجثث أخته وزوجته وابنتيه المتفحمة ، وظل أياماً وشهوراً حتى استرد عافيته بشكل كبير ، إلا أن الأمر لم تقتصر آثاره على الجانب الجسدي بل كان له تبعات على المستوى النفسي حيث حمل عاصم نفسه مسؤولية ما حدث مما أصابه بحالة من انفصام الشخصية جعلته يتوهم أنهم لا زالوا على قيد الحياة ، يعيش معهم ويعيشون معه ، يكلمونه ويكلمهم ، حتى ساءت حالته خاصة مع إصراره على عدم

تناول الأدوية المقررة له ، سافر لسنوات - بعد إلحاح حازم والعائلة - إلى لندن حيث خضع لعدة برامج تأهيل نفسي على أعلى مستوى ، وعاد بعد عدة سنوات بشخصية جديدة تماماً ، أعاد افتتاح حياته و عاد لعمله وللنادي والأصدقاء ، مما جعل الجميع يؤمن تماماً أن عاصم قد عاد مجدداً لممارسة حياته بشكل طبيعي تماماً .

وعلى مدار اليومين الماضيين كلمت عاصم أكثر من مرة ولم أبدي له أي تغيير في كلامي حتى لا يشعر أنني اعلم عنه شيئاً وذلك بناءً على ما اتفقت عليه مع شقيقه حازم ، أخبرني عاصم أن شيرين قد أرسلت له البيانات والصور كما اتفقنا ، وأنه قد قابل فؤاد عصر الجمعة وحكى له الأمر وأعطاه كل المعلومات المتاحة ، وأخذ وعداً من فؤاد بالحضور إلى النادي لإطلاع عاصم على نتيجة البحث والتحري التي قام بها ، اتصل بي عاصم وطلب مني حضور هذه المقابلة معهما بالنادي ، فانتهزت الفرصة وأتيت إلى النادي مبكراً ، دخلت و ذهبت إلى مكان عاصم المعتاد وجلست ، وما إن رأيته أيوب حتى أتى إلى مسرعاً .

- أيوب : مساء الخير يا فندم ... حضرتك الدكتوراة بسمة ... يارب أكون مش غلطان في الاسم
- بسمة : مساء الخير يا أيوب ... لا مضبوط الله ينور عليك
- أيوب : معلىش بقى مفيش غيري في المكان ... رمضان كريم و حضرتك عارفة ... كل الناس بتفطر وبعدين ييجوا على أيوب على طول ... فيه حاجة ممكن أقوم بيها ل حضرتك ؟



- بسمة : لا متشكرة يا أيوب ربنا يخليك ... صحيح هو الدكتور عاصم  
لسه مجاش مش كدة ؟
- أيوب : أكيد طبعاً ... طالما هو مش هنا على الترايبيزة بتاعته يبقى  
مستحيل يكون موجود
- بسمة : للدرجة دي ؟
- أيوب : الدكتور عاصم من الأعضاء اللي حفظناهم من زمان ... بيدخل  
يركن عربيته ... يجي يطلب قهوته ... يقرأ جرناله أو أي كتاب من  
كتبه اللي بتبقى بالإنجليزي بتاعت الدكاترة دي ... وممكن يطلب  
عصير أو أي حاجة خفيفة وساعتين بالكثير بيكون ماشي
- بسمة : ملوش أنشطة تانية ... مش بيقابل حد
- أيوب : لا طبعاً الدكتور متعود يجي الصبح بدري قوي عشان يمشي  
ساعة حوالين ملعب الكورة ، وقليل قوي لما حد من حبايبه بيجي يقعد  
هنا معاه ... كنت بسمع زمان إنه كان يلعب تنس بس مشفتش  
بصراحة الكذب خيبة
- بسمة : مفيش حد من العيلة بيجي معاه ؟ ... حد من إخوانه ؟ ... بناته
- أيوب : كل فين وفين بشوف أخوه المهندس أصله دايماً مسافر ... لكن  
غير كدة مفيش
- بسمة : قل لي يا أيوب انت بقالك هنا كتير في النادي ؟
- أيوب : سنتين بالظبط ... من ساعة ما خلصت الجيش وأنا هنا
- بسمة : ربنا يقويك يا أيوب ... ميرسي قوي مش عاوزة أعطلك

- أيوب : تحت أمر حضرتك يا فندم ... أهو الدكتور عاصم جاي هناك  
أهو ... أستأذن أنا بقى
- بخطوات واثقة وابتسامة جذابة كعادته أقبل عاصم نحو مائدته المفضلة ، سلم  
على أيوب و سحب كرسيًا وجلس
- عاصم : شكلك هنا من بدري وأيوب أكل دماغك ، مش بيبطل رغي  
أنا عارفه
- بسمة : لا والله أنا لسه واصلة قبلك على طول
- عاصم : وأنا داخل كلمت فؤاد وقال لي إنه داخل ورايا حالاً
- بسمة : الحمد لله ، يارب يكون عرف حاجة ونطلع كلنا غلطانين
- عاصم : يا رب يا بوسي
- قطع كلامه صوت هاتفه فرد عليه
- أيوه يا فندم ... آه إحنا في انتظارك في الكافتيريا ... هتلاقينا على إيد  
اليمين وإنت ماشي ... خليك ماشي بس شوية ... تمام كدة أنا شفتك ...  
بص يمينك ... تمام ... اتفضل ... سلام
- وصل فؤاد وفي يده ملف يضم عدد من الأوراق ، ألقى التحية وسحب كرسيًا  
وجلس
- عاصم : معلىش يا فندم تعبناك معنا
- بسمة : طمنا ... قدرت توصل لحاجة ؟

- فؤاد : واحدة واحدة عليا يا جماعة ... بصراحة الكلام اللي هتسمعه  
مش مطمئن خالص
- بسمة : لا إله إلا الله
- عاصم : وصلتكم للحقيقة بالسرعة دي
- فؤاد : شوف يا دكتور عاصم ... بالتأكيد أنا مش هقدر أوضحك أو  
أعرفك المصادر اللي جبت منها الكلام ده ... كل اللي أقدر أقوله لك  
إن الملف ده فيه شغل ٣٦ ساعة متواصلة من البحث واشتغل عليه  
مجموعة من أفضل رجالتنا جوه وبرة مصر .
- بسمة : إحنا كدة بنقلق أكثر
- فؤاد : باختصار شديد جداً كل الكلام اللي عندكم ملوش أي أساس من  
الصحة ... الجدع ده مش اسمه إلياس صفوان والسنتر اللي قال إنه  
بيشتغل فيه ملوش وجود ... الصور اللي معاكم أغلبها متفبرك وخاصة  
اللي بيقول عليها إنها في أماكن شغله ... الحاجة الوحيدة الحقيقية في  
الموضوع إنه فعلاً معاه الجنسية اللبنانية ومقيم بالفعل في هامبرج  
بألمانيا .
- عاصم : أمال هو مين؟ وعاوز إيه من شيرين؟
- فؤاد : اللي قدامنا في الصور ده يا جماعة اسمه طوني إفرايم ...  
يهودي لبناني
- بسمة : يهودي؟ ... يهودي؟
- عاصم : اهدي بس يا بسمة ... كمل يا سيادة اللواء

- فؤاد : طوني إفرام ... يهودي لبناني عنده ٣٨ سنة ... فني أجهزة طبية ... كان بيشتغل بالفعل في لبنان تبع الأمم المتحدة من حوالي عشر سنين ... ونتيجة مشاكل عملها في الشغل زي الاختلاس وسرقة بعض الأدوية فصلوه من الشغل ... سافر أوروبا وعاش في أكثر من بلد ... إيطاليا هولندا بلجيكا فرنسا وكان آخرها ألمانيا ... سبق اتهامه أكثر من مرة في قضايا اعتداء وخطف وإتجار بالأعضاء ... إلا إنه كل مرة كان بيطلع براءة بحجة عدم كفاية الأدلة .
- عاصم : اسمحلي يا فندم كل اللي حضرتك قلته لا يتعدى كونه سرق علبة دوا أو أكثر ... وباقي الاتهامات مفيش حاجة ثبتت عليه
- بسمة : مضبوط ... أنا متفقة مع الدكتور عاصم
- فؤاد : لحد دلوقتي أنا متفق معاكم لكن لما نعرف إنه خلال السنين اللي فاتوا قدر بيعت دعوات وتأشيرات زيارة لسبع بنات من مصر وسوريا والأردن وإن البنات السبعة دخلوا ألمانيا ومخرجوش منها يبقى إحنا دلوقتي قدام مجرم دولي وإنه بالفعل وراه لغز كبير وعلامات استفهام لا حصر لها
- بسمة : وكل ده قدرتم تعرفوه في يومين ؟
- فؤاد : شغلنا يا دكتور ... ولو فيه وقت أكثر ممكن نكتشف مفاجآت أكثر
- عاصم : لا اللي حضرتك قلته كفاية جداً ... وبجد كتر ألف خيرك
- فؤاد : مفيش داعي للشكر يا دكتور ... شيرين أخت نادين وأي حاجة تضرها أكيد هتزععلنا كلنا

- عاصم : أنا مش متفاجئ إني بسمع منك الكلام ده ويجد بكرر شكري  
ليك مرة ثانية

- فؤاد : الشكر ليك إنت يا دكتور ... أنا واثق تماماً إنه مفيش دكتور  
بيعمل اللي انت بتعمله مع المرضى بتوعك ... وإن الموضوع بالنسبة  
لك إنساني اكرر منه بزنس

- عاصم : متقولش كدة يا دكتور ... إحنا كلنا عيلة واحدة

لا أعلم السبب في أن أسمع كلمة "عيلة" بشكل مختلف هذه المرة بالرغم من  
أن عاصم يرددها مراراً وتكراراً ... فمنذ أن قالها تقريباً لم أسمع باقي الحوار  
الذي دار بينهما حتى انصرف فؤاد وأوصلني عاصم بسيارته إلى العيادة  
حيث اتصل في الطريق بشيرين وطلب منها الحضور ، وخلال ربع ساعة  
كنا نجلس نحن الثلاثة في مكتب عاصم ، أخرج عاصم لشيرين كل الأوراق  
التي حصل عليها من فؤاد وحكى لها الأمر حرفياً ، انهارت شيرين تماماً ولم  
تصدقنا .

- بسمة : خلاص بقى يا شيرين ... احمدي ربنا إنه الموضوع خلص  
على كدة

- شيرين : بالسهولة دي ؟ ... إنتي بتقولي إيه بس

- عاصم : يا شيرين إحنا بنقول الحمد لله إننا قدرنا نعرف الحقيقة قبل لا  
قدر الله ما تحصل حاجة كدة ولا كدة

- بسمة : الحمد لله

- شيرين : طب دلوقتي لو كلمني أو بعثلي هتصرف إزاي ؟

- عاصم : يعني إيه تتصرفي إزاي ؟ ... مترديش طبعاً أو اتحججي بأى حاجة
- بسمة : أنا شايفة إنها متردش أحسن ... وممكن تغيري رقمك كمان
- شيرين : وهو هيسكت يعني ؟ ... ده جالي وقابلني ودخل البيت يا جماعة ... ده ممكن يعمل فيا أي حاجة
- عاصم : اطمني ... اللواء فؤاد والد نادين بيتابع الموضوع ومراقب اتصالاتك ومحدث فينا هيسيبك
- شيرين : اللواء فؤاد ؟
- بسمة : أيوه ... ماهو اللي عرفنا الحقيقة
- شيرين : آه فهمت
- عاصم : فيه حاجة أخيرة عاوز أقولك عليها
- شيرين : حاجة إيه ؟
- عاصم : كريم يا شيرين ... كريم هنا في العيادة ... ومصمم يشوفك ... هو كلمني وقتله يتفضل وقاعد هنا من ساعتين ... قبل حتى ما نوصل إحنا
- شيرين : هي الحكاية كدة بقى ؟
- بسمة : حكاية إيه ؟
- شيرين : تجارة أعضاء واللواء فؤاد والحمد لله ربنا ستر ... وبعدين يظهر كريم بقى على الحصان الأبيض ... سوري يا دكتور ده شغل بلدي قوي

- بسمة : شيرين ... إنتي بتقولي ايه ؟ ... معلش يا دكتور هي بس  
متوترة شوية

- عاصم : أنا مقدر اللي هي فيه

- شيرين : وأنا مش عاجزك تقدر ... ومش عاجزك أعرفكم أصلاً ... أنا  
إيه اللي جابني هنا ... يا ريتني ماعرفتكم ... أنا خلاص مبقاش عندي  
ثقة في أي حد ولا حتى فيكم ... حرام عليكم حرام عليكم

انهارت شيرين باكية ، وأشار لي الدكتور عاصم بما معناه أن نتركها في  
المكتب وننصرف ، خرجنا من المكتب ثم دخل إلى إحدى القاعات وخرج  
معه شخص عرفنا بعدها أنه كريم ، تحدث معه قليل ثم سمح له بدخول مكتبه  
ليحدث إلى شيرين مستغلاً لحظة انهيارها ، دخل كريم وسمعنا صوت  
شيرين مرتفعاً للحظات ثم هدأت الأجواء نسبياً وظل الهدوء سيد الموقف  
قراءة الساعة ، والحق يقال فبالرغم من قلقي الشديد على شيرين وفضولي  
الكبير لمعرفة نتيجة هذا اللقاء المؤجل منذ سنوات إلا أن كل دقيقة تمر كانت  
تبشر بأن شيئاً طيباً ربما يحدث ، وفي الوقت ذاته تؤكد أن القلوب بيد  
الرحمن يقلبها كيف يشاء ، لحظات قليلة وفتح باب المكتب وخرج منه شيرين  
وكريم وقد بدت عليهما أمارات الفرح والراحة ، هنا كسر عاصم حاجز  
الصمت بأسلوبه المرح

- عاصم : والله كنت هجيب لمون ، بس قلت رمضان كريم بقى ونخليها  
عرقسوس

- كريم : لا يا دكتور ده واجب علينا إحنا والله ...

- عاصم : بس أنا مش شايف يعني إصابات ولا كدمات ... ولا أي حاجة ... إيه يا بشمهندسة ؟
- شيرين : وبعدين يا دكتور عاصم ؟ ... ما قلنا رمضان كريم بقى
- عاصم : كريم آه ... كريم خالص ... ماشي ياعم كريم
- شيرين : قلتك يا كريم الدكتور هيشغلنا والله سنتين تلاتة قدام
- كريم : لا والله ده جميله ده على راسي
- بسمة : يعني خلاص ... صافي يا لبن ؟
- شيرين : قريب إن شاء الله هعزمك على مناسبة حلوة
- عاصم : الله أكبر ... طب يلا بسرعة العيد كمان يومين ... واهو يبقى العيد عيدين
- شيرين : لا طبعاً أنا لسه عندي شروط
- كريم : وأنا موافق من قبل ما أعرفها
- عاصم : يابني اتقل شوية
- كريم : اتقل تاني ؟ ... أنا على آخري والله
- شيرين : إيه ... إيه يا بابا ... حاسب على كلامك
- كريم "ضاحكاً" : أوك ماشي ... عندك حق ... طيب إحنا هنستأذن بقى يا دكتور ... أصلي عزمت نفسي عند حماتي
- بسمة : ده فيه حد مش بيضيع وقت بقى
- كريم : كفاية اللي ضاع يا دكتور
- عاصم : الحمد لله رب العالمين ... متبصش على اللي ضاع ... وبص دائماً على الخير اللي في إيدك ... حافظ عليه كويس وشيله في عنيك



- كريم : في عنيا يا دكتور ... متشكر على كل حاجة ... ربنا يكرمك  
ويبارك لك في أهل بيتك
  - عاصم : شكراً يا كريم ... أنا مستني الدعوة بقى
  - كريم : أقرب مما تتخيل
  - شيرين : إحنا قلنا إيه ؟
  - كريم : طيب طيب بالراحة بس ... يلا سلام يا دكتور ... عيد سعيد إن شاء الله وكل سنة وإنتم طيبين
- انصرف كريم وشيرين وكأنهما قد وقع كل منهما في حب الآخر اليوم ،  
ودعناهما بنظرات الحب وأمنيات النجاح في حياتهما القادمة .
- عاصم : صحيح يا دكتور ... بالمناسبة بقى
  - بسمة : خير
  - عاصم : طبعاً العيد داخل وأكد بنكون إجازة
  - بسمة : ده العادي يعني
  - عاصم : طيب أنا من النهاردة إجازة لمدة أسبوع بالظبط ... عاوز آخذ سلوى والبنات ونطلع يومين كدة نغير جو في أي حنة قبل الدراسة ما تبدأ ... الصيف السنة راح في الثانوية والتنسيق وملحقتاش نعمل حاجة ... وبإذن الله السبت الجاي أكون رجعت ... والأحد أكون هنا في العيادة بأمر الله
  - بسمة : طيب تمام

- عاصم : المكان بتاعك ... كلمي سليمان في أي وقت ورتبي معاه ...  
عاوزه تيجي الصبح أو بالليل ... عاوزه تيجي في العيد ... براحتك ...  
البيت بيتك
- بسمة : ميرسي يا دكتور دي ثقة أعتز بيها
- عاصم : تحبي آجي أوصالك ولا قاعدة شوية
- بسمة : لا قاعدة شوية ... لسه بدري
- عاصم : أوك اشوفك على خير ... يلا كل سنة وانتي طيبة
- بسمة : دكتور عاصم
- عاصم : خير
- بسمة : ممكن تديني رقم مدام سلوى ؟
- عاصم : رقم سلوى ؟ غريبة ... ليه عاوزه تشتكيلها مني ولا إيه ؟
- بسمة : لا خالص ... يعني من ساعة ما اشتغلت هنا وأنا عاوزه أشوفها  
... أقابلها ... أو حتى أبعثلها رسالة مثلا بمناسبة العيد ... عادي يعني  
مفيهاش حاجة
- عاصم : آه طبعاً ... بس أصل سلوى مكبرة دماغها شوية من موضوع  
الموبايلات ده وعلى طول قافلاه
- بسمة : مش مشكلة يا دكتور هات الرقم وأنا هبعثلها مسج ... وأول ما  
تفتح الموبايل هتقراها
- عاصم : أوك ... اللي يريحك
- بسمة : تمام ... هات الرقم ... ولا أقولك ... ما تتصل بيها وتديهالي  
أكلها

- عاصم "ممسكاً هاتفه" : برضه فكرة كويسة ... و آدي يا ستي رقم سلوى هانم ... أهو ... زي ما قلتلك ... مققول ... أو مفيش شبكة ... هي أصلاً مش بتاعت موبايلات مراتي وأنا عارفها
- بسمة : ممكن فعلاً يكون الموبايل مققول ... وممكن جداً تكون الشبكة عندها واقعة
- عاصم : على طول كدة
- بسمة : أو ممكن يكون فيه سبب تالت
- عاصم : تالت إزاي يعني ؟
- بسمة : ممكن تكون مدام سلوى مش موجودة مثلاً ... ممكن تكون ماتت
- عاصم : ماتت ؟ سلوى مين اللي ماتت ؟ إيه الهبل ده ؟ إزاي تقولي كدة يا بسمة ؟ إنتي مجنونة ؟
- كان صوت عاصم عالياً وفي لحظات احمر وجهه وارتعدت فرائصه وأخذ يدور حول نفسه جيئةً وذهاباً ويتمتم بكلمات غير مفهومة .
- بسمة : مدام سلوى فين يا دكتور ؟ وفين ندى وشذى ؟ مفيش حد فيهم معاه موبايلات خالص
- عاصم : اسكتي
- بسمة : طب أكيد فيه تليفون في البيت
- عاصم : قلتلك اسكتي إنتي مش فاهمة حاجة

دخل عم سليمان مهرولاً عندما علا صوت عاصم ، و حزن كثيراً لما رآه من  
منظر عاصم وانفعالاته

- سليمان : مالك يا دكتور عاصم ؟ خير يا بنتي هو جراه إيه
- عاصم : المجنونة دي خليها تمشي حالياً
- بسمة : أنا مش مجنونة يا دكتور
- عاصم : لا مجنونة وبنت ستين كلب ... تصور يا عم سليمان ... بتقول  
سلوى ماتت
- سليمان "وقد اغرورقت عيناه بالدموع" : خلاص يا بنى متعملش في  
نفسك كدة
- بسمة : أنا مش مجنونة يا عم سليمان ... هو اللي مش طبيعي
- عاصم : شايف ... سامع ... أنا قلت تطلع برة دلوقتي حالياً
- بسمة : أنا فعلاً طالعة برة وهمشي ومش هتشوفني تاني
- سليمان : استني بس يا بنتي هو هيبقى كويس
- عاصم : إنت كمان هنعوم على عومها يا راجل يا خرفان انت ؟ ...  
طب أقولكم على حاجة خليكم قاعدين ... أنا اللي ماشي ... مجانيين ...  
كلكم مجانيين ... كلكم مجانيين
- انصرف عاصم وحاول عم سليمان اللحاق به ولكن هيهات لمن أصابه  
الكبر والوهن أن تسعفه قواه في مثل هذه الحالة ، فعاد إلى ثانية والدموع  
تبلى وجهه
- سليمان : ليه كدة يا بنتي ؟ إنتي عملتي كدة ليه ؟

- بسمة : يعني إنت كنت عارف كل حاجة ومشاركه في جناه ؟
- سليمان : غصب عني يا بنتي ... أنا راجل عجوز وأيامي في الدنيا مش كتيرة ... هو طلب مني مجيبش سيرة لأي حد ... خصوصاً إنتي
- بسمة : بقى كدة ؟ ... إنت مش عارف واحد بالشكل ده ممكن يعمل إيه فينا وفي نفسه ؟
- سليمان : يا بنتي حرام عليكي أنا مش ناقص والله ... كفاية اللي شفناه معاه ... كانت أيام سوداء إلهي ما يرجعها ولا يكتبها على حد أبداً ... أنا ما صدقت إنه رجع تاني يتكلم ويضحك ويشغل زي الأول ... عاوزاني أقول له إيه بس ؟
- بسمة : ولا حاجة ياعم سليمان ... ولا حاجة ... أنا ماشية
- سليمان : متسيبهبوش يا بنتي ... عاصم كويس ... بس محتاج رعاية ... مينفعش نتخلى عنه في الظروف دي ... كان مستخبيلك فين كل ده يابني ؟ ... اللهم لا اعتراض ... اللهم لا اعتراض
- بسمة : بعدين يا عم سليمان ... أنا مش آخذ أي قرار دلوقتي ... أنا ماشية ... هبقى أكلمك .

خرجت من العيادة ، أخرجت هاتفني واتصلت بحازم

- بسمة : الو
- حازم : أيوه يا بسمة إزيك
- بسمة : أسفة على الإزعاج يا حازم
- حازم : لا عادي تحت أمرك ... كل سنة وانتي طيبة الأول
- بسمة : وانت طيب ... محتاجة أشوفك ضروري

- حازم : خير ... فيه حاجة ؟

قصت على حازم ما حدث واكتشفت أنه غادر القاهرة إلى الإسكندرية وسيعود سريعاً أول أيام العيد ، طلبت منه أن يحاول الاتصال بشقيقه للاطمئنان عليه ، وأنهيت المكالمة وسرت في طريقي إلى المنزل وأنا أكلم نفسي ، لا أعلم هل كان ما فعلته صواباً أم خطأ ، لم يعد يهم ، فما حدث قد حدث و دعوت الله كثيراً أن ينتهي ذلك اليوم على خير .

الخميس ٩ سبتمبر ٢٠١٠ الساعة ٧ مساءً

## اختفاء

مرت الأيام سريعاً وقارب الأسبوع على الانتهاء دون أن نعلم مصير عاصم ، وكلما مر يوم كلما ازداد معه قلقي وحيرتي ، حاولت أنا وحازم وعم سليمان البحث عنه وسؤال كل من يعرفونه ، ولم نعثر على أي إجابة لأي سؤال ، جاء عيد الفطر و ذهب وأنا مثقلة بالأوجاع والهموم ، حبيسة داخل غرفتي ، أحاول ربط الأحداث بالأشخاص كي أستنبط مزيداً من الحقائق حول الدكتور عاصم لعلني أعلم أين ذهب أو ما الذي يمكن أن يفعله ، تبادلت مع حازم عدد من الاتصالات الهاتفية ، وحكى لي الكثير عن عاصم كإنسان وطبيب و أخ ، راودني إحساس برغبة حازم في الحديث معي لشئ أكبر من اختفاء عاصم ولكنني لم أكن لأهتم بهذه المشاعر الغريبة في ذلك الوقت ، اتفق معي حازم على أن يأتي إلى العيادة اليوم فور عودته من الإسكندرية ، وها أنا واقفة أمام السبورة في غرفة الاجتماعات وقد كتبت عليها كل المعلومات التي أعرفها عن عاصم وأسرته وعلاقاته سواء على مستوى العيادة أو النادي أو العائلة ، دخلت العيادة في تمام السادسة وبعد ساعة من وجودي داخل غرفة الاجتماعات دخل عم سليمان يحمل صينية الشاي ومظروفاً أبيض اللون .

- سليمان : الشاي يا دكتورة
- بسمه : تسلم إيدك يا عم سليمان
- سليمان : تسلمي يا بنتي ... لسه مفيش أخبار عن الدكتور ؟

- بسملة : لسه والله ياعم سليمان ... فص ملح و داب
- سليمان : ابن البواب إداني الظرف ده أول امبارح وقال لي إنه فيه واحدة ست قالت له يسلمه للدكتور بسملة
- بسملة : ظرف ؟ ظرف إيه ؟ ... وريني كدة
- سليمان : اتفضلي يا بنتي

أخذت الظرف وفتحته فإذا بداخله ورقة مطوية وشريط كاسيت ، فتحت الورقة وجدتها بيضاء تماماً إلا من ثلاث كلمات "إلى الدكتورة بوسي" ، حمدت الله كثيراً وكدت أن أسجد لله شكراً ، فكلمة الدكتورة بوسي لم أكن أسمعها إلا من الدكتور عاصم ، وهذا معناه أن عاصم لا يزال على قيد الحياة وأنه هو من أرسل ذلك المظروف ، أخذت شريط الكاسيت و ذهبت مسرعة إلى مكتب الدكتور عاصم حتى أضعه في جهاز التسجيل وأسمع ما به ، في نفس اللحظة وصل حازم حاملاً حقيبته وقد بدت عليه آثار السفر

- بسملة : جيت في وقتك ... دكتور عاصم بعثلي شريط
- حازم : شريط ؟ ... من عاصم ... شريط إيه ؟
- بسملة : تعال بس ... هنسمع ونعرف بيقول إيه

دخلنا المكتب ، وضعت الشريط في الجهاز وضغطت على زر التسجيل

- السلام عليكم ... إزيك يا بسملة ؟ ... يارب تكوني بخير ... معلىش بقى على الجو بتاع الكاسيت والكلام ده ... اعذريني بقى راجل قديم شوية ... أنا بعذرلك طبعاً على كل اللي حصل وعلى المشاكل اللي اتحطيتي فيها بسببي ... أكيد انتي بتسمعي دلوقتي بعدما عرفتي عني كل حاجة



... أنا بس مش عاوزك تظلميني ... وعاوزك تبصلي زي ما بتبصي  
دايماً لأي حالة عندنا في العيادة ... على إني مريض مش مجرم ...  
ومش عاوزك تصدقي اللي بتسمعيه عني ... مش كل الكلام اللي  
هتسمعيه صدق ... اللهم إلا عم سليمان وحازم أخويا ... دول أكثر  
اتنين عارفين عاصم كويس ... أنا شفت أيام صعبة قوي يا بوسي ...  
حاولت الانتحار ... ومكنتش باكل ولا أشرب ... كانوا بيعلقولي محاليل  
ويدوني الدوا بالعافية ... الأدوية تعبتني قوي ... مكنتش متخيل إنه  
بيجي اليوم اللي أكون فيه مريض شيزوفرينيا ... وأخترع ناس مش  
موجودة وأكلمهم ويكلموني ... بطلت الأدوية تعبت أكثر ... مكنتش  
عارف أكمل إزاي ... كنت بين نارين ... اتحمل الدوا واللي بيعمله فيا  
؟ ... ولا أبطل الدوا وارجع للهلاوس والجنان بتاعي ؟

صمت صوت عاصم للحظات تبادلت خلالها نظرات الترقب مع حازم ثم عاد  
صوت عاصم من جديد

- قرت إني أعمل لهم فيها إني خفيت وبقيت كويس ... رجعت مصر بعد  
رحلة علاج واستشفاء طويلة جوه وبرة مصر ... فاكرة الفيلم اللي كنت  
كلمتك عنه قبل كدة ؟ ... Beautiful Mind ... بالصدفة البحتة شفت  
الفيلم ده وقررت إني أعمل زيه ... بس حطيت التاتش بتاعي ...  
قررت إني مش هاخذ الدوا ... وهعيش مع المرض وأنا عارف إنه  
غول عايش معايا وبينهش فيا كل يوم ... خلقت العالم البديل الحقيقي  
الافتراضي في نفس الوقت ... عشت فيه وكنت فاكر إنه هيعوضني ...  
لكن للأسف فشلت .

صمت الصوت مجدداً وكان واضحاً أن الدكتور عاصم كان يبكي ويحاول التماسك بشتى الطرق

- فشلت زي ما فشلت في كل حاجة في حياتي ... كنت فاكِر إنِي إنسان متفوق في الدراسة والشغل وفرحان بالشهادات اللي معلقها ورا ظهري وأنا أساساً معلقها عشان أستخبي فيها وأداري حاجات كثير ... أداري الزوج الأناني اللي جوايا ... أداري الأب المتسلط والأخ الجاحد ... أداري الكائن اللي ربنا أنعم عليه بكل شئ جميل وهو معرفش قيمة كل ده إلا بعد ما راحت كل حاجة حلوة وجميلة ... ورجعت من جديد لنقطة صفر مش عارف أعمل إيه ... وهيمر وقت كبير قوي لحد ما أعرف ... كل اللي بطلبه منك إنك تسامحيني وتدعيلي كثير ... سلميلي على حازم وعم سليمان وخدي بالك منهم ... هم اللي باقيين لي في الدنيا ... ربنا يطمني عليكم كلكم ... مع السلامة

انتهى حديث عاصم ... ذهبت مسرعة كالمجنونة إلى غرفة الاجتماعات ، وقفت مذهولة أمام السبورة ، اتى حازم ورائي مسرعاً

- حازم : مالك يا بسمة ؟ فيه إيه ؟

- بسمة : ثواني بس يا حازم ... أنا بدأت أفهم كل حاجة

أخذت القلم ومسحت كل الكلمات التي كتبتها ، وفي منتصف السبورة تماماً كتبت أربعة أسماء : ليلي – ميار – نادين - شيرين .... وتحت كل اسم كتبت سبب مشكلتها من وجهة نظر الدكتور عاصم : زوج مهمل – أب متسلط – أسرة مفككة – أخ عدواني ، فسألني حازم

- حازم : مين دول ؟
- بسمه : أنا هقولك يا سيدي إيه دول ... دول العيلة ... العيلة الحقيقية الافتراضية اللي صنعها الدكتور عاصم ... اللي عملها عشان يصلح بيها أخطاء الماضي مع الأربعة دول
- وأمسكت القلم وكتبت تحت كل اسم هذه الأسماء بالترتيب : سلوى – ندى – شذى – ضحى

- بسمه : دول الأربع ضحايا اللي أخوك عاصم شاييل ذنبهم ومحمل نفسه كل اللي حصل لهم بسببه ... ومش صدفة إن الدكتور عاصم لما جابني هنا وحكالي على التجربة اللي عاوز يعملها مش صدفة أبداً إنه يختار البدائل تقريباً في نفس عمر مراته وأخته وبناته ... مش كدة وبس دول كمان واقعين تحت ظروف مشابهة إلى حد كبير ... ياما سألت نفسي هو ليه اختار دول بالذات دوناً عن غيرهم ؟ ... وقعدت كتير قوي أدور على أي حاجة تربطهم ببعض ومكنتش بلاقي ... عمري ما تخيلت إنه مش بيعالجهم هم وإنه بيعالج نفسه ... بيديهم اللي مقدرش يديه لعيلته الحقيقية .

- حازم : معقولة عاصم عمل كل ده ؟
- بسمه : ملهأش أي تفسير تاني ... انت لو كنت شفت هو بيتكلم إزاي عن العيلة وإزاي بتأثر على الإنسان وممكن تحوله ١٨٠ درجة ... هو فعلاً عمل كدة ... وبالفعل كان بيحل مشاكلهم وبيقربهم من بعض ... لكن مستحيل كنت أتوقع إنه بيعمل كل ده عشان يلاقي لنفسه بديل

- يعيش فيه بدل ما تطارده أو هامه ... لكن واضح إنها كانت مش كفاية  
وإن أو هامه لسه عايشة معاه لغاية دلوقتي .
- حازم : هو للأسف الشديد أنا مصدق كل حرف قلتيه ... واللي بيأكد  
كلامك ده كلمة واحدة سمعتها في شريط عاصم ... انتي مخدتيش بالك  
منها ... لكن مستحيل كانت تعدي عليا
- بسمة : كلمة ؟ ... كلمة إيه ؟
- حازم : هو عاصم متعود يقولك "بوسي" من كثير ؟
- بسمة : نعم ؟ ... لا مش كثير ولا حاجة ... هو كان دائماً لما كنا بنبقى  
لوحدنا بيقولني "يادكتور بوسي" ... بس مش فاهمة برضه إنت عاوز  
تقول إيه
- حازم : وسعي بقى انتي كدة شوية ... وهاتي قلمك الجميل ده لحظة  
واحدة
- أعطيته القلم فقام بكتابة اسمي على نفس السطر الذي كتبت عليه أسماء "ليلي  
- ميار - نادين - شيرين" ثم نظر إلى جيداً ورسم تحت اسمي سهماً يشير  
إلى الأسفل وكتب كلمة "بسنت"
- بسمة : مين بسنت ؟
- حازم : تعالي بقى يا ستي وانا أقولك حكاية بسنت أو زي ما كان دائماً  
عاصم مسميها "بوسي"
- بسمة : يادي الليلة السوداء

ضحك حازم وأشار إلى أحد المقاعد وطلب مني الجلوس ، وعلى المقعد  
المقابل جلس وقال :

- حازم : بوسي دي بقى يا ستي أو بسنت دي حب عاصم الوحيد ...  
كانت زميلته في الكلية ... حبوا بعض من سنة أولى ... ولما خلص  
الكلية وفتح بابا في موضوعها رفض بشكل عنيف جداً ... بسنت كانت  
مادياً واجتماعياً أقل منا بكثير ... وبابا كان شايف إنها مش هي  
الإنسانة اللي تليق بابنه الكبير اللي بيقول عليه شبهه في كل حاجة
- بسمة : وطبعاً كان باباك مخطط له إنه يتجوز من بنت عمك من زمان
- حازم : واضح إنه عاصم اعترف لك بحاجات كثير ... بالفعل عاصم  
بسهولة جداً اتخلى عن حبه لبسنت ... بشكل خنقني أنا شخصياً منه ...  
مكنتش متصور إنه يبيع حب سنين بالسهولة دي ... وفي شهور قليلة  
عاصم اتجوز سلوى بنت عمي ... وبدأت المشاكل بينهم
- بسمة : مشاكل إيه ؟
- حازم : المشاكل الصغيرة اللي بتحصل في كل بيت ... اللي لو  
تجاهلناها بتكبر ... ولو حليناها بسرعة بنوفر على نفسنا كثير ...  
عاصم مكانش زوج مثالي ولا أب مثالي ... أكيد كان غلطان في  
حاجات كثير مقدرش أنكر ده ... لكن كان فيه حاجة جواه دايماً بتخليه  
يفكر في بسنت و يندم على إنه فرط فيها
- بسمة : وطبعاً وهو بيعمل العيلة الجديدة منسيش الست بوسي وقام  
جاييني مكانها
- حازم : بالظبط كدة

- بسمة : طب تمام ... حلو والله ... كويس إنها مطلعتش في دماغه  
واتجوزني بالمره

- حازم : مستحيل كنت أسيبه يعمل كدة

- بسمة : ليه ؟

- حازم : وانتى ذنبك إيه ترتبتي بحد وانتى متعرفيش عنه حاجة

- بسمة : مانا كنت فاكرة إني أعرف عنه كل حاجة ... وكان ممكن  
أوافق

- حازم : كنت همنعك

- بسمة : نعم ؟ تمنعني ؟ .... ليه بقى إن شاء الله

- حازم : لأنى بحبك ... بحبك وعاوز أتجوزك ... قلتي إيه ؟

في هذه اللحظة تمنيت أن تنشق الأرض وتبتلعني كما يقولون ، وانتظرت أن  
أعرض لحالة الإغماء رقم ثلاثة لي في هذه العيادة العجيبة ، ولم تنشق  
الأرض للأسف ، ورفض عقلي أن يغيب ووجدت نفسي أقول لحازم بمنتهى  
البلاهة :

- أنا لازم أقوم أمشي دلوقتي حالاً

الاثنين ٣٠ يناير ٢٠١٧

نهاية وبداية

" زي ما قالوا إن وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة هي اللي عملت منه كدة ... أنا دائماً بقول إن وراء كل امرأة فاشلة راجل مطلع عنين أهلها بأنانيته وطلباته وتحكماته وبلاويه اللي ما بتخلصش"

كانت هذه إحدى الأقوال المأثورة التي لا زلت أحفظها جيداً وأكررها دوماً وأنسبها إلى صاحبها "الدكتور عاصم" ، تذكرت هذه المقولة حرفياً وأنا واقفة الآن أراجع بعض مقررات الدكتوراة التي أوشكت اقتربت امتحاناتها واقفة في المطبخ في السادسة مساءً وسط جبال المواعين المتسخة على الحوض أعد ما لذ وطاب من شوربة العدس التي يعشقها زوجي حازم في مثل هذه الأجواء قارصة البرودة .

كنت قد تزوجت حازم خلال شهور قليلة بعدما طلب الزواج مني صراحة في عيادة الدكتور عاصم ، وحضر زفافنا كل أفراد العائلة التي شكلها الدكتور عاصم ، كما حرص على الحضور عم سليمان ، وانتقلت بعد ذلك للعيش مع حازم في الإسكندرية ورزقنا الله عصام " ٥ سنوات" و مرام "سنة ونصف" ، والحق يقال فإن حازم نعم الزوج والصديق ، بالرغم من انشغاله كثيراً بعمله حتى أوقات متأخرة إلا أنه لم يقصر معي أبداً ، ساعدني في إيجاد وظيفة بإحدى المدارس الخاصة هنا بالإسكندرية ، كما يشجعني باستمرار على استكمال الدكتوراة التي تأخرت كثيراً بسبب الزواج والحمل والإنجاب ، واليوم هو عيد زواجنا السادس ، ستة أعوام كاملة مرت على زواجنا ولا زلنا

حتى يومنا هذا لا ندري أين اختفى عاصم ، وهل ما يزال على قيد الحياة أم لا .

- مش عارفة أنا شوربة عدس إيه دي اللي تتعمل في عيد جواز ... والله لو ماما شافنتي لتعمل لي أحلى فضيحة

وهنا دخل حازم المنزل ، و بابتسامته الجميلة دخل إلى المطبخ وعانقني عناق المشتاق إلى محبوبته

- حازم : كل سنة وإنتي طيبة يا أحلى بسبوسة في القاهرة واسكندرية وسائر دول حوض البحر المتوسط ، العيال نايمة ولا إيه الأخبار

- بسمة "بابتسامة ذات مغزى" : لا طبعاً مستنيين لما يشوفوا بابا حبيبهم ... إنت عاوزني أنيمهم عشان يفضلوا صاحبين لنا طول الليل

- حازم : أستأااااااذ

- بسمة : أنا ورايا مذاكرة مش فاضيا لكم

- حازم : طب مانا هذاكرلك ... أه صحيح ... البواب إداني الجواب ده ليكي

- بسمة : جواب ؟ جواب إيه ؟

- حازم : خدي يا ستي ... ناوليني أنا المغرفة دي أقلب لك العدس

أخذت المظروف من حازم ... فتحتته ... وإذا به عبارة عن كارت معايدة من الكروت التي يتم إرسالها في المناسبات السعيدة وبداخله جملة واحدة مكتوبة بخط أنيق ، ما إن قرأتها حتى أشرق وجهي من الفرحة كما قال لي حازم بعدها .



- حازم : من مين الكارت ده ؟ ومكتوب فيه إيه ؟
- بسمة : اسمع يا سيدي ... عيد زواج سعيد لأحلى دكتورة بوسي في الدنيا ... سلامي إلى حازم وعصام ومرام
- حازم : دكتورة بوسي ... معقولة يكون اللي في بالي ؟

وكانت تلك هي نهاية القصة ...

ومعها بدأت قصة ثانية مختلفة تماماً

شكر خاص  
إلى الأستاذة إنعام عبيد و دار الفراعنة  
على تبني هذا العمل وتقديمه بهذه الصورة الرائعة

جميع حقوق النشر الورقي والألكتروني محفوظة للناشر

